وأشارت إليه

obeikan.com

الكتاب: وأشارت اليه

المؤلف: أميرة عز الدين

رقم الإيداع: 20531 / 2016

الترقيم الدولى:0-081-778-977-978

الطبعة الأولى : 2016

الغلاف: مى يسري

20 عمارات منتصر – الهرم – الجيزة

ت-35860372-02 011-27772007

Noon_publishing@yahoo.com

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

obeikan.com

وأشارت إليه

أميرة عزالدين

للنشر
والتوزيع

obeikan.com

obeikan.com

إهداء

إلى قائل هذه الكلمات:"الدنيا عبارة عن مسرح كبير والناس اللي فيها كل واحد فيهم ماشي بيعمل دوره.. لو إنت ناوي تغيَّر دورك.. تمد إيدك وتفتح الستارة الله أعلم هاتشوف إيه ورا الكواليس.. بس ممكن اللي تشوفه يخليك ما ترجعش تشوف الدنيا زي ما كانت.. ولا تقدر تغمض عينيك وتنام وإنت بالك مرتاح"..

إلى روح الفنان /**خالد صالح**..
وإلى كل من مدوا أياديهم
ليفتحوا لنا الستار!

obeikan.com

obeikan.com

هو العين التي ترْقب ما خلف كواليس حياتي، يظل يراقبني في صمتٍ حتى تهاجمني التساؤلات فأشير إليه في مهده لُيجيب!..

obeikan.com

كرسي هزاز

obeikan.com

تزاحمن مع شدة الحرارة للغوص في الماء متشوقاتٍ للذوبان بين ذراته بداخل الغلاية الحديثة، ومع الحرارة الكهربية أخذتُ أتابعهن وهن يصبغنه بسمارهن البنيّ في سرعة!..

في الماضي لم يكنّ بمثل تلك الهشاشة وكان إعدادهنَّ يحتاج إلى عمليةٍ طويلةٍ ودقيقةٍ، تبدأ مع انتقاء جدتي لهن من بين مئاتٍ أُخر، ثم وضعهن مع "التحويجة" الخاصة جدًا بداخل دُرج المطحنة الخشبية الصغيرة، لتُدير بعد ذلك ذراعها المعدنية ذات المقبض الخشبي فيستسلمن دون مقاومةٍ تُذكر وهن يتنسمن المِسك العربيّ المنبعث من بين أناملها، بعد ذلك تنقل رفاتهن الشهي إلى داخل "الكنكة " النُحاسية فوق "السبرتاية"، تغمرهن بمياه "القُلَّة" الباردة وتتركهن ليمتزجن بالسكر وتنتظر، وأثناء ذلك كنت أتذوق أنا طعم حكاياتها اللذيذة كقطعة"التوفي" التي كانت تمنحني إياها كلما جلست في رحابها!..

تذوقتُ حلاوة الذكرى وأنا أتجه نحو "التراس" الذي غازلته الأشعة الذهبية وهي تربت على حواف الطاولة الأبنوسية الجالسة بجوار السور، وضعتُ "مج" قهوتي الفرنسية السريعة فوقها وأنا أنظر في عينيِّ الشمس التي ترقبني من بين أغصان الشجرة الهَرِمَة وهي تتكئ بجذعها على جدار "ڤيلا" العائلة وتمد ذراعها نحوي لتصافحني في وقفتي!..

قبل الغروب بقليلٍ كانت فناجين القهوة تخرج فرحةً تتراقص رغمًا عنها مع ارتعاشة يد جدتي العجوز، كانت رتوش الزمن تضحك على وجنتيها حين كنت أخبرها أن يدها هي العجوز وليست هي، وتلك الضحكات كانت تغريني بأن أُلح عليها للحصول على نصيبي من قهوة "العصرية" تمامًا كالكبار، فتصب لي جدتي بعض القطرات في

فنجان الـ "روميو وچوليت" وهي تخبرني أن عليّ تركه على الطاولة حتى أجلس فتناولني إياه، وهي تحذف الكرسيّ الهزاز من اختياراتي للجلوس!..
رافقتني الابتسامة وأنا أتناول"المج" وأضعه على حافة السور وأجلس بين ذراعيِّ الكرسيّ الهزاز في استمتاع، في طفولتي كان جدي يضحك حين أعتلي كرسيه الهزاز ويقول في تحدٍّ:
- مش هاتعرفي تهزيه!..
فكنت أتراقص بجذعي إلى الأمام وإلى الخلف وأجيبه وأنا معتمدةٌ على ذراعيّ الكرسيّ:
- لأ.. هاعرف..
أما الآن، فيكفي أن أمس الأرض بقدميّ وأدفعها عني برفقٍ ليهدهدني الكرسيّ في نعومةٍ وأنا أتأمل مقعدي الخشبيّ الصغير في الركن المقابل، كان مجاورًا لمقعد جدتي ومقابلًا للطاولة الأبنوس مثله، أراني في لون المقعد الباهت جالسةً في سعادةٍ لا تصل قدمايَ إلى الأرض وجدتي تناولني فنجان قهوتي أخيرًا، بعدها أتذوق "وش" فنجاني بطرف خنصري وهي تسنده لي حتى أفعل، لا أدري من أين أتيتُ بذلك الطقس لكنه رفيقي حتى اليوم إذا ما تناولت القهوة التركية، ولكني في الحقيقة لم أعد أتناولها كثيرًا، فلم يَعُد هناك وقت لمثل تلك الطقوس الكلاسيكية ممتعة التفاصيل!..
أرحتُ رأسي على ظهر الكرسيّ وأنا أتأمل الشرفة والحديقة، رنوتُ نحو "الفانوس" النُحاسيّ الذي يتدلى من منتصف الشرفة كأنما أتامل من خلفه الطابق العلوي الذي به شقة خالي، أمر جيد أن أتمكن من تذكر أنني الآن في شقتنا وأن تلك شقة خالي وسط الامتزاج العائليّ العجيب الذي تسبب فيه جدايّ الأخوين حين زوجا ابن الأخ

الذي سكن الدور الأول من ڤيلتهما مع أبويه لبنت الآخر الذي سكن الدور الثاني، وزوجا ابن الثاني مع أبويه أيضًا في الطابق العلويّ!..

نظرتُ إلى "مج" قهوتي التي بردت دون أن أُنهيها، لقد أصبحتْ قهوتي مغليةً بلا "وش" وبلا رائحة تحويجة الجدة وبدون جلستنا في"التراس" مؤتنسين بصوت "السبرتاية" ورقصات شُعلتها الصغيرة أسفل "كنكة" البُن، لقد أُرغمنا على اختزال الكثير من تفاصيل الحياة لنصل إلى نتائج أسرع، لكنها أقل لذة، أقل كثيرًا!..

طوال ساعات تالية ظلت تلاحقني ضحكات جدتي وكلمات جدي وهو يُشاكسني، وحين انتبهت أخيرًا وجدت الشمس تودع الأغصان المزدحمة بالطيور العائدة لأعشاشها بعد يومٍ طويل، تأملت الطاولة الأبنوسية بعينين شعرُت باتساعها رُغمًا عني وخُيل إليّ أني أشاهد لهب "السبرتاية" الصغير وهو يتراقص أسفل "الكنكة" النُحاسية في صخبه المحبب، أوقفتُ الكرسيّ عن الاهتزاز وأنا أستند للطاولة خشية أن أتعثر بحماسي المفاجئ، مرقتُ سريعًا بجوار مقعد جدتي ومقعدي الصغير ووقفتُ بداخل الغرفة أتطلع حولي محاولةً التذكر، لقد وضعتْ أمي عدة القهوة الخاصة بجدتي -بعد وفاتها - في صندوقٍ صغيرٍ وحفظته في مكانٍ ما هنا، فهل هو أسفل الفراش أم أعلى الدولاب وسط تلك الصناديق العديدة؟!..

اتجهتُ نحو المطبخ حين تذكرتُ أن "الكنكة" النُحاسية لاتزال هناك في أحد الأدراج وأنا أتصل بأمي واضعةً الهاتف في جيبي مستمعةً إلى الرنين عبر السماعات..

"هالة!. صوتك بعيد قوي.. "

جاءني صوت أمي التي لم تميّز كلماتي وأنا أشبّ قليلًا لأبحث في أحد الأرفف، فاعتدلتُ وأنا أسألها:

- كده سامعاني؟..

ولما أجابتني بالإيجاب سألتها في سرعةٍ:

– هي عِدِّة القهوة بتاعت تيتة فين؟..

ضحكتُ من نفسي حين صمتتْ أمي لبضع دقائق عثرتُ خلالها على "الكنكة"، من المؤكد أنها الآن تتهمني في نفسها بالجنون، هل من المعقول أن أسألها سؤال كهذا قبل أن أسأل عن صحة هانيا التي سافرت أمي خصيصًا لترافقها حتى موعد ولادتها؟!..

"مش فاكرة.. بس تلاقيها في صندوق من الصناديق اللي فوق دولاب أبوكي.."

جائتني إجابتها وأنا أعثر على الصينية النُحاسية ذات النقوش الدقيقة مختفيةً فيما وراء الغلاية الكهربية، وضعتُها ومن فوقها "الكنكة" على مكتب أبي بعد أن عُدت للغرفة وأنا أسأل أمي:

– طمنيني عليكم.. هانيا عاملة إيه؟..

– الحمد لله.. طمنيني إنتي عليكي..

أجبتُها وأنا أتأمل الصناديق التي ترتفع فوق الدولاب و....

"أيوة بقى.. "

هتفتُ في مرحٍ متصورةً أن تلك العبارة "الروشة" هي الترجمة العصرية لعبارة "أرشميدس" الخالدة: وجدتُها، بعد بعض الحركات البهلوانية في فراغ الغرفة استسلم أحد الكراسي ليقف صاغرًا أمام الدولاب ويُساعدني في الإمساك بذلك الصندوق الصغير الماكر، وقبل أن أهبط أرضًا فتحتُه لأتاكد أن ذاكرتي محقةً في انتقاء ذلك الصندوق دونًا عن جيرانه، وكانت ذاكرتي العزيزة على صوابٍ جدًا فها هي المطحنة الأثيرة تجاور "السبرتاية" في استكانةٍ بداخل الصندوق!..

"يا بنتي بتروحي فين؟.. ألو.. "

قالتها أمي وأنا في طريقي نحو الأرض، فأجبتُها وأنا أُخرج المطحنة و "السبرتاية" من الصندوق لأتركهما مع"الكنكة "في أحضان الصينية وأذهب لإحضار بعض الماء وقطع الليمون:

– معاكي يا ماما والله.. لقيت عدة القهوة زي ما قلتي في صندوق كان فوق الدولاب..

صمتتْ أمي ربما لتبتلع قليلًا من جنوني ثم سألتني:

– أخبار شغلك اللي سيبتيني أسافر لوحدي علشانه إيه؟!..

لم أدرِ بم أجيبُها، فعملي ليس السبب الرئيسي في عدم سفري معها ولكني لم أكن لأتحمل رؤية هانيا تتألم، فحملتُ الصينية وبداخلها كل شيء وجلستُ هذه المرة بجوار"الشيش"على مقعد جدتي ومقعدي الصغير يحمل عني المنشفة القطنية،وأخيرًا أجبتُ أمي:

–الحمد لله يا ماما..

–مش ناوية تيجي يومين؟.. مش عايزة تكوني جنب أختك لما تولد؟..

–بصراحة مش هاقدر أشوفها في الحالة دي يا ماما.. وبعدين.. أنا لازم أخلص مراجعة كتابي قبل الشهر ما يخلص..

حانت مني التفاتة سريعة نحو زهور البنفسج التي ترف من حول الكرسيّ الهزاز كالأهداب المسبلة، أنهيتُ الاتصال مع أمي بعد أن لقنتني قواعد السلامة الأربعين وعاهدتها على الاتصال صباحًا ومساءً، ليس لأنني مقتنعةً بقلقها ولكن ليطمئن قلبها، تأملتُ الكرسيّ الذي هدهده الهواء في نعومةٍ وأنا أنقل بصري بينه وبين "الجرمافون" الذي كنت أراه عبر زجاج الشرفة الداخليّ، كان قابعًا في مكانه بجوار الفراش على طاولته المرتفعة، لا أدري لم تملكتني غصة مفاجئة فتركتُ ما بيديّ

Obeikan.com

واتجهتُ إليه لأُقلب بين اسطواناته، لحظات وأدرتُ اسطوانة"مهرجان الزهور" الخاصة بجدي وعدت لأجلس في"التراس" مرةً أخرى بين الزهرات مبهمة الحزن!..

***

obeikan.com

❖ انضمَّتْ إليَّ في شرفة البيت الهَرِم، تطلعتْ نحوي للحظةٍ ثم ألقت بنفسها بين ذراعيّ دون أن تنطق بحرفٍ واحد، استكانتْ إلى صدري في هدوءٍ أغراني بأن أضمها في قوةٍ خمنتُ أنها في حاجةٍ إليها، أغمضتْ عينيها وهي تتمسكُ بيديّ في قوةٍ مماثلةٍ وسرحتْ مع صوت الاسطوانة الدائرة في "الجرامافون" العتيق:

أحب زهر البنفسج رمز الجمال الحزين

عبيره يسكر ويسحر ويسعد المحرومين

نظرتْ من بين ذراعيّ إلى ركن الشرفة القريب نحو أُصص البنفسج، بدتْ وكأنما تتمايل مع الموسيقى في شجنٍ، منذ طفولتها -حين كانت تزور جديها وتلهو هنا حولي بتلك الشرفة -كانت تتصور وجوهًا باكيةً ودموعًا تلتمع فوق وريقاته المائلة نحو الأرض، وفي كل مرةٍ تركض نحو جدتها وتسألها نفس السؤال دائمًا:

-هو الورد بتاعك زعلان ليه يا تيتة؟!..

فتبتسمُ جدتها وتربتُ على شعرها مجيبةً:

-عشان مفتَّح يا حبيبتي..

وكان ذلك حقًا، كنتُ أرى الجدة وهي تعتني به وترويه على الدوام لكن وريقاته كانت ترنو نحو الأرض حين يزهرُ تمامًا فتبدو كثغر طفلٍ باكٍ لا حيلة له في أمره، وربما لذلك أوصتها الجدة -في فترة مرضها الأخير -قائلةً:

-خلِّي بالك من البنفسج..

ورغم ذلك ذبُلتْ كل زهرات البنفسج دفعةً واحدةً يوم رحيلها، يومها جلس الجد وحيدًا هنا حيث أجلسُ بين أُصص البنفسج الفانية وقطرات

obeikan.com

الندى تراودُ جفنيه عن البُكاء، كان هو الآخر يدير الاسطوانة القديمة نفسها ودمعاته – حين فك أسرها –تتساقطُ على الوريقات الذابلة، اتهمه الجميع يومها بالجنون وبأنه فقد عقله ليتركَ الأقارب والمعزين ويجلسَ في الشرفة يستمع إلى اسطوانات!..

"لا إله إلا الله!.. ما قدرش يستحمل الصدمة"

"كان بيحبها قوي.. مسكين"

"مش عشرة عمره"

"مش لازم يفضل لوحده"

"كفاية بقى"

هكذا صرختْ هي وأنا أراقبها تطردهم من حول جدها إلى خارج الشرفة تمامًا لنبقى نحن الثلاثة وحدنا، كانت الوحيدة التي شعرت به، اقتربتْ منه وجلستْ أمامه أرضًا تطالع حزن عينيّه الرماديتين، فمسح على رأسها كما كانت جدتها تفعل وحاول أن يبتسم، فقالت:

– كفاية يا جدو..

– ده ضروري يا حبيبتي..

– إيه اللي ضروري؟!..

– الزمن بيخلي نفوس الناس زي البنفسج الدبلان.. محتاج نرويه كل فترة بالحزن والدموع عشان يزهّر من تاني.. عشان ما ننساش إننا بشر.. عارفة إن البنفسج لما بيفتح ويزهّر قوي بتحسي أنه بيبكي!..

هزتْ رأسها موافقةً دون أن تجيب، فلم أتمالك نفسي وضممتهما سويًا لنتمايل معًا على الأنغام غير عابئين بحديث أحد!..

obeikan.com

أفاقتْ من سُبات ذكرياتها والاسطوانة تعودُ للمقطع نفسه:

أحب زهر البنفسج رمز الجمال الحزين
عبيره يسكر ويسحر ويسعد المحرومين

اعتمدتْ بيديّها على ذراعيّ لتعتدلُ في جلستها لتطالعها ملابسها السوداء كما طالعتها حقيقة رحيل جدها اليوم، تذوقتْ ملوحة عبراتها بشفتيها وهمستْ كأنما لاتزال تتحدث إليه:

-البنفسج كان دبلان يا جدو!.. بس بدأ يفتح!..

وعاد اللحن يترددُ في أزليّةٍ مع اغتيال الغروب لذلك النهار وأنا أحتضنها متمايلًا بها أكثر، أطلقتْ العنان لعبراتها وذكرياتها وهي تريحُ رأسها على صدري وتتمسك بذراعيّ الخشبيتين بينما أنا أتابع اهتزازي بها.

***

obeikan.com

obeikan.com

ليلة شتاء

obeikan.com

انتبهتُ من غفوتي غير مستوعبةً في البداية أين أنا، لحظات وتذكرتُ أنني غفوتُ على مقعد جدتي في الشرفة وأمامي على الطاولة الأبنوسية "اللاب –توب" ومن حوله غفا فنجان قهوتي عاريًا وكاد أن يجف الماء في كوبه، تطلعتُ– بابتسامة رضا ناعسة– إلى تلك الصفحة البيضاء التي زخرفتها حروف "الكيبورد" بعبارة "بنفسج" وأنا أتناول قطرات الماء المتبقية لأُغلق بعدها عينيَّ في قوة وأفتحهما علّني أميّز ما حولي، طالعتني النجوم التي تتلصصُ على أعشاش العصافير المنزوية بين أغصان الشجرة، ونبهني صوت النداء لاقتراب الفجر، لكنه كان فجرًا حارًا حتى أن أفراخ الطيور كانت في حالة خمولٍ جعلتها تشقشقُ في كسلٍ وهي قابعةً في العُش!..

نهضتُ في تكاسلٍ لأتوضأ وأنا أشعرُ بذلك الشبح الخفيّ يثني وشوشاته اللذيذة، تابعتُ وضوئي وأنا أحاول أن أعلو بتسبيحي على صوته الناعم الذي حاول دفعي كثيرًا لاستكمال نومي الآن وإرجاء الصلاة حتى أستيقظ، مرتْ لحظات تغلبتُ فيها عليه ووقفتُ أخيرًا بين يديّ ربي وياليت قومي يعلمون، لو يعلم المتباطئون عن اللقاء بما فيه من حُنُوٍّ ورحمةٍ، لو تشعر نفوسهم بتلك السَكينة التي تسكن القلب وتسكّن آلامه، لأدركوا أنه– جل وعلا– يدعونا إلى رحابه ليربت على رُؤوسنا الساجدة ويطمئن قلوبنا بيقين القبول ولو بعد حين!..

كان يشغل ذهني بعد انتهائي من الصلاة ما قصه عليّ أبي يومًا عن ذلك المسن الذي قابله في طريقه لصلاة الفجر ذات ليلة، توسّدتُ فراش أبي وأنا أتمتم بأذكاري متسائلةً كيف تقبّل شيطان أبي تحديه له ولكل وساوسه في تلك الليلة الشتوية البعيدة؟!..

ثقُلتْ جفوني دون أن أجد لديّ القوة للذهاب إلى غرفتي، بينما أخذتْ كلمات أبي تتردد في صدى يبتعدُ عن وعيي تدريجيًا:

ليلة شتاء والبرد جَدْ الجَدْ

لا يعرف غني ولا فقير ولا فيه شفاعة لحدْ

***

obeikan.com

❖ راقبتُه في تلك الليلة الشتوية الباردة وهو متدثرٌ في فراشه بأثقل الأغطية، كان طوال الليل يبحث في رأسه عن خيط الكلمات دون فائدة، فركتُ يديّ في سعادةٍ شديدةٍ بعد أن شوشتُ على ذهنه تمامًا وتركته حائرًا بين رغبته في كتابة شيء عن تلك البرودة – التي تطلق كثيرًا من الخيالات في رأسه – وبين قدرته على الإمساك بالحروف!..

رأيته – من خلف الستائر الثقيلة التي تُكلل نافذة الغرفة – يحاول كثيرًا دون جدوى، كانت تتراص أمام عينيه كلمات غير ذات معنى ثم تهرب بلا فائدة، لذلك استسلم أخيرًا وهو ينحّي أوراقه جانبًا محاولًا النوم، فاقتربتُ منه ومِلتُ على أذنه هامسًا: "إنت مرهق قوي النهاردة!.."

سمعني دون أن تُدركني عيناه وهو يُغمضها ويغوصُ أكثر في فراشه قائلًا:

– الفجر قرب بس أنا مرهق قوي النهارده ونفسي أناا.. ام..

تثاءب مستسلمًا فتابعتُ أنفاسه التي أخذتْ في الانتظام وأنا أهمسُ له مجددًا: "ارتاح دلوقتي وصلي لما تصحى.. ربك غفور رحيم يا أخي.. "

وانسحبتُ في هدوءِ لأتركه في سُباتٍ عميقٍ.

بعد نحو نصف الساعة أخذتُ في الدوران حول نفسي بحثًا عن مخبأ ونداء الفجر يشقُ سكون الليل:

الله أكبر.. الله أكبر

وحين قررتُ أن أختبئ أسفل فراش الشاب صُدمتُ إذ رأيته يفتح عينيه مستفيقًا كأنما نام لساعاتٍ طويلةٍ، سترتني الملاءات المتهدلة على جانبي الفراش وأنا أشعر به يتقلّبُ فوق رأسي، فتساءلتُ في دهشةٍ: "معقولة

هايقوم؟!.." وسمعته يجلسُ على الفراش وقدماه تهبطان إلى الأرض وهو يتمتم:

ليلة شتاء والبرد جَدْ الجَدْ

لا يعرف غني وفقير ولا فيه شفاعة لحد*

ثوانٍ قليلةٍ أخرجتُ رأسي بعدها في وضعٍ مقلوبٍ مكّنني من رؤيته وهو يُردد في بطء –كأنما يتهجى ما يكتب:

صحيت من نومي وقلت يا نفس قومي

ده الفجر شأشأ من غير ما تعتبي وتلومي

طهري جسمِك واخلعي توب الكسل واتوضي

ولمسجد ربنا جِدِّي واشتدِّي*

نظرتُ لل "نوت "الصغيرة التي وضعها على"الكومود "بجواره بعد أن نجح في كتابة تلك الكلمات وأنا أُحاول أن أُلهيه عن القيام مستغلًا قدراتي غير المرئية، نجحتُ للحظةٍ في جذب أفكاره نحو"النوت" مرةً أخرى لكنه أشاح بوجهه عنها ونهض ليتوضأ، امتعضتُ كثيرًا لفعله لكني لم أقو على فعل شيء واستغفاره يُسابقُ تسبيحه!..

عاد بعد لحظاتٍ ليقف واضعًا يديه في خصره وهو ينقلُ بصره بين"الروب" الصوفيّ وبين ملابس الخروج و"السويتر" الجلديّ ذي البطانة الفرو، فدسستُ رأسي في الدائرة المفرغة بين ذراعه اليسرى وخِصْرَهُ وقلبتُ رأسي في غيظ لأنظر في عينيه سائلًا في حدةٍ: "إنت كمان بتفكر تصلي في الجامع؟!.." بالطبع لم يجبْ وحل عقدة ذراعه لأسقط فجأة وشرع في ارتداء ملابس الخروج، رأيته وأنا أنهض متألمًا يرتدي ما يستطيع من

الملابس الثقيلة علّه يتقي ذلك البرد القارس، ثم سحب ال"نوت" وكتب بعض الكلمات:

وقُمت واتوضيتْ ولِندَا ربنا هَمِّيتْ
ولبست كُلّ تقيلْ على جسمي ما خَلِّيتْ
قبل ما تفوتْ الصلاة وأقول ياريتنى ياريتْ*

وضع ال "نوت "والقلم في جيبه وخرج متجهًا إلى المسجد، كان يُتمتم طوال طريقه إما بكلماتٍ خافتةٍ يُضيفها إلى ما خطه فيها أو تعلو تمتمته تلك قليلًا لينتابني الغيظ أكثر مع تسبيحه المستمر، لكنه فجأة تناسى كلماته ووجدته يجرى ليساعد ذلك الرجل الذي تعثر وسقط قبل المسجد بخطواتٍ قليلةٍ، كان شيخًا مسنًا لا يرتدي سوى ثوب رقيق بالكاد يقيه لسعات البرد، نظر له العجوز في امتنانٍ وهو يعتمدُ على ذراعه لينهض ويشكره بوجهه البشوش ثم يمضي في طريقه، رأيتُ الشاب وقد تسمر في مكانه للحظةٍ وهو يُرددُ في همسٍ:

كان كل شيء حواليّا هادي ومندِي
ولسان حالي بيقول يا نسمة باردة خفيّ واتهدِّي
ولمحتْ شخص من بعيد على الطريق بيعدِّي
اتكعبلتْ رجليه لا قادر يقوم ولا يعدِّي
جريت عليه أعينه وأمد له يديّ
لقيته راجل كبير في سن أبويا أو جدي
على جسمه تُوب فاضل له حبة ويدوب

وقاللي ساعدني يا ابني ألحق لُقَا المحبوب*

"وكمان بيكسب ثواب!.. يا أخي أحـ......" لم أتمالكُ نفسي وهتفتُ بتلك الكلمات في ضيقٍ بينما ظل هو يُتابعُ العجوز في إشفاقٍ وقلقٍ طوال الطريق إلى المسجد وهو يُدون كلماته التي بدتْ كسيلٍ لن ينضب في تلك الليلة، كان يخشى على العجوز من سقطةٍ ثانيةٍ خاصةً مع ثقل خطواتِه، لكن— ولدهشتي أنا وهو– رأينا العجوز يسبقه إلى أعتاب المسجد بعد أن أضحتْ خطواته أكثر ثباتًا واتزانًا ولسانه يقطر تسبيحًا دافئًا يطغى على هجمة الصقيع، أسرع الشاب يكتبُ بعض الكلمات قبل أن يقف ليخلع نعليه:

ومشيت وراه وأنا مش قادر أدارى دهشتي

ولقيته ماشي في نفس سكتي

وعند الجامع، سبقت خطوته خطوتي

اتهزيت من جوة مهجتي

ودخلت وراه وأنا، بداري كسفتي

إن كان ده حاله وسبقت خطوته خطوتي!*

اقتربتُ حذرًا من الشاب الذي وقف ليخلع نعليه بجوار العجوز، بحثتُ عن رفيقه الزميل الذي أوقعه منذ لحظات ليعطله، فوجدته جالسًا وسط الطريق متهالك القوى ينظرُ إلى العجوز في حسرةٍ، اقتربتُ أكثر لأسأله وأنا ألمحُ الشاب يلحق بالعجوز إلى داخل المسجد:

–هو ده آخرك؟.. ذنبي أنا إيه تجر رجل الزبون بتاعي للخير وهو بيساعده؟!..

أشاح الوسواس المسن بيده في ضعفٍ وهو ينهض مجيبًا:

– يعني أعمله إيه؟.. ده محجب!.. عجوز صحيح بس في لسانه قوة تصد ألف أبليس يا أخي!..

وقفنا نتطلع إلى مئذنة المسجد التي تشع منها إضاءة خضراء نقية ويعلوها هلال كبير، ومع تكبيرات الإقامة التي سرت في السكون أدبرنا نُجرجر أذيال خيبتنا وأنا أتنهدُ في حسرةٍ قائلًا:

–خسارة!.. ساعة الشر ما تتعوضش!..

بعد فترة شاهدتهما يخرُجان من المسجد سويًا وتابعتُ الشاب حتى أوصل العجوز إلى منزله، سار بعدها في خطواتٍ متئدةٍ والخزيّ الذي تملّك نفسه يُطل من عينيه المنكسة نحو الأرض، كنتُ أعلم أنه يُقارنُ بين حالِه وحال ذلك الشيخ العجوز، حاولتُ تشتيت ذهنه عما يُفكر به لكن هالة الضوء التي أحاطتْ بقلبه وخواطره كانت تكبرُ لحظةً بعد أخرى، جلدني ندمه وهو يتذكرُ كم تكاسل عن الاستيقاظ لصلاة الفجر في السابق، ولو فعلها واستيقظ كان يُقررُ دون تفكيرٍ أداءها في البيت اتقاءً لشدة البرودة أو الحرارة على حدٍّ سواء، كان لي تأثير عليه وقتها يُزينُ له في يسرٍ الحُجج أسبابًا مقنعةً!.. لم يتذكرُ كيف قطع طريق العودة وهو يفتحُ باب شقته لكنه توقف ليسري الدفء في أوصاله وهو يُسبل هامسًا:

– يارب.. يارب

لم يقلْ سواها لكنها أغلقتْ هالة الضوء من حوله تمامًا ومنعتني عنه كسياجٍ كهربي، خلع عنه"السويتر" و"الكوفية" وألقاهما فوق الفراش وهو ينظرُ إلى ورقات "النوت" الصغيرة، تأكد من

وجود شريط بداخل"الكاسيت" وضبطه على وضعية الاستعداد للتسجيل، استغرق مدة نصف ساعة منكبًا على كلماته ودموعه، قابلته النقراتُ الذهبيةُ الدافئةُ على زجاج نافذته بعد أن رفع رأسه أخيرًا فابتسم، سمح"للكاسيت" أن يُعيد عليه كلمات قصيدته وعيناه تلاحقان صورته في المرآة حتى تمتم مع صوته المسجل بصوتٍ مرتجفٍ:

إزاي قصرّت.. إزاى كَلِّيت!

وإزاي قسي قلبي.. وإزاي مَلِّيت!

اغفر لي يا رب وسامحني..

وبرضاك عني املا القلب وريّحني*

وجلس يُراقبُ ذلك النهار الوليد مبتسمًا كأنما كان يُشاهدُ رحيلي عنه بذلك الشكل المزري!

***

* **قصيدة: ليلة شتاء لوالدي :سعيد عزالديّن رحمه الله.**

obeikan.com

بقعة زيت

obeikan.com

"إزيك يا لولا؟.."

ارتبكتْ أحبالي الصوتية حين أجبتُ على هاتفي وبادرني بها، أرتاحُ لصوته جدًا ولنبراته الدافئة وأؤثر الصمت كلما حادثته للاستزادة منه أكثر وأكثر!..

"إتأخرت ليه يا طارق؟.. دي مواعيد شغل؟!" لا أدري لماذا قُلتها بتلك الحدة وأنا أشعرُ بالراحة لمجرد سماع صوته، ربما لأتمسك بحواجز الحذر المنيعة التي شيدتُها أمام قلبي منذ فترةٍ طويلة، أعلم أنه ليس من العدل أبدًا أن أعامله بتلك الطريقة لكنه كان يُقدّر، سمعته يضحكُ في حنانٍ متجاهلًا حدتي وهو يقول:

– مين ده اللي إتأخر يا بنتي.. أنا في الهناجر من ساعة.. إنتي فين؟

– أنا في الكافيتيريا من نص ساعة..

– كافيتيريا!.. وتقوليلي شغل.. إتفضلي يا أستاذة تعاليلي المسرح..

كان طارق صديقي الذي ساعدني في اكتشاف ذاتي من جديد بعيدًا عن أسوار وحدتي الاختيارية، فعلى الرغم من كوني تلك الاجتماعية المرحة إلا أنني بقيتُ لسنواتٍ بعد وفاة أبي أقفُ في علاقاتي بمن حولي عند نفس النقطةِ، كنتُ أشعرُ أنني فقدتُ الدرع الذي كان يحمي مشاعري أو يطيبها إذا اقتضى الأمر، لكني بعد فترة شعرتُ أن طارق يتمنى قلبي الذي خرج إلى

النور على يديه، ولأول مرة منذ فترةٍ بعيدةٍ أشعرُ بحرصي على الاحتفاظ بقرب أحدهم رغم كل ما أخشاه!..

"أنا جنبك مهما حصل يا هالة.." كانت عبارته تلك تترددُ في ذهني كلما التقيُته، بل كلما رأيتُه حتى ولو من بعيدٍ كالآن وهو يقفُ على المسرح منهمكًا في الحديث مع شخصٍ ما – فهمتُ أنه مهندس الديكور – وكلاهما يُواجه خلفية المسرح ولا يراني، حقًا لقد أصبح طارق هو ملجأي الوحيد الآمن لكني رغمًا عني– وعند أكثر

نقاط التقائنا أمنًا- كنتُ أشعرُ بخوفٍ كخوفِ الطفل من حضن أمه إذا ما فكر للحظةٍ أنه مُفارقه لا محالة!..

خطوتُ في هدوءٍ من خلف صفوف المقاعد الأمامية وأنا أتأمل"الديكورات" البسيطة والمعبرة في نفس الوقت عن قصتي التي أصَرَّ طارق على تحويلها إلى نصٍ مسرحي، لا أدري من أين يأتي

بكل هذا النشاط، لقد أصَرَّ على أن أكتبُ أنا النص مما دفعني لأمضي ليالٍ عديدةٍ في القراءة والبحث كي أحولُ قصتي إلى مسرحيةٍ من فصلٍ وحيدٍ، وفي اليوم الذي سلّمته النص رأيتُ ابتسامةً في عينيه وهو يقول:"براڤو عليكي.. كنت عارف إنك هاتقدري".. بعدها، اهتم طارق بكل الإجراءات والموافقات منذ دخول النص لجنة القراءة وحتى موافقة مدير المسرح بعد شهرين كاملين من تاريخ تقديمه، وأخيرًا جاء ليخبرني منذ عدة أيام أنه تسلم المسرح لتجهيزه حيث أن افتتاح عرضنا بعد شهرٍ من الآن، واليوم دعاني لأحضرُ"بروڤة الترابيزة "رغم أني سمعتُ ذات مرة أن الكثير من المسرحيين قد توقفوا عن اتباع هذا الأسلوب إلا أنه لا زال متمسكًا به.

نظرتُ إلى يسار المسرح فارتعش قلبي إذ تصورت نفسي بين تلك الأنقاض، اقتربتُ أتأملُ خشبة المسرح بعينٍ التمعت فيهما الدموع، كيف تُؤّثر فينا سطورٌ نحن كتبناها واخترعنا أحداثها بهذا الشكل؟!.. لم أنتبهُ لانتباه طارق لوجودي ولا لهبوطه درجات المسرح الجانبية أو وقوفه بجواري يراقبُ عينيّ في صمتٍ، انتبهتُ أخيرًا حين لمس بكفه كتفي في رفقٍ وهو يهمس:

- مالِك؟..

تنفستُ في عمق لحبس دموعي وابتسمتُ قائلةً:

- الديكور.. حلو قوي..

ظل ينظرُ نحوي طويلًا حتى أجبرني على النظر إليه بدوري، وحين اطمأن أنني لا أبكي حَوَّلَ نظراته إلى خشبة المسرح وسألني:

- زي ما تخيلتي؟..

- بالظبط..

قلتها في حماسٍ وأنا أفرُ من محيطه لأعتل خشبة المسرح وأتجول بين"ديكوراته"متحاشية الاصطدام بالطاولة التي وضعت بالمنتصف تقريبًا ومن حولها عدة كراسي وفوقها ملفات تحمل عنوان قصتي الذي أبقاه طارق عنوانًا للمسرحية، استدرت أسأله وأنا على يقين أنه لحق بي على الخشبة:

- دي نسخ النص؟..

أومأ برأسه في صمتٍ وهو يجذبني من يدي في رفق نحو الطاولة وجلس على رأسها وأجلسني إلى يمينه، وقبل أن أسأل أي سؤال جديد بدأ توافد عدة أشخاص من حولنا واتخذوا أماكنهم على الكراسي المجاورة بينما أوضح لهم طارق قائلًا:

-أستاذة هالة مؤلفة النص..

والتفت إليّ وتابع:

-ودول فريق العمل يا أستاذة ممثلين ومعدين وملابس وإضاءة..

ابتسمتُ في توتر قائلة:

-أهلًا وسهلًا..

انتظر طارق توقف كلمات الترحيب بي وقال بنبرة صوتٍ مسيطرةٍ بعض الشيء:

- كله موجود؟.. تمام.. كل واحد معاه"سكريبت " النص الأصلي وموضح فيه دوره.. طبعًا هانسمع بعض الأول وهانشتغل في الإعداد سوا.. نقول بسم الله الرحمن الرحيم ونبدأ؟..

في البداية ارتبكتُ وكنت أتتبع فقط ما يقرأون، لكن بعد لحظاتٍ بدأت أرى خيالي - الذي نسجته ذات ليلةٍ وأنا وحيدةً بين سطوري وقلمي - يتجسد بأصوات من حولي، ولم أندهش حين أتتني كلمات زين بصوت طارق!

***

obeikan.com

❖ **"يُفتح الستار لنرى المسرح منقسم إلى نصفين.. إلى اليمين توجد شجرة وبجوارها طاولة ومقعدين.. على الطاولة صينية شاي وجريدة.. على الشجرة معلق"بابيون " .."باريه".. شال المقاومة المنقوش بالأبيض والأسود.. عصا متوسطة الطول.. إلى اليسار توجد شجرة أخرى محفور في منتصف جذعها قلبًا ومن حوله حرفيZ & A .. معلق عليها طرحة زفافٍ قديمةٍ.. شالًا أسود.. بجوار الشجرة كرسي هزاز قديم ومتناثر حوله بعض الأحجار كأنها أنقاض.. خلفية المسرح لوحة لبعض معالم بغداد. نسمع صوت صريرٍ عالٍ لانفتاح بابٍ قديمٍ.. يدخل زين من اليمين، شاب في أواخر الثلاثينيات.. يجلس على المقعد ويصب الشاي ليتناوله وهو يطالع الجريدة بينما تدخل أسيل في نفس الوقت من اليسار، فتاة ثلاثينية لها شعر قصير قرب كتفيها وتحمل حقيبة سفر في يدها.. تضع أسيل الحقيبة من يدها وهي تجلس على الكرسيّ الهزاز تحركه ببطء وتتطلع حولها في شرودٍ"**

أسيل (**تتحدث إلى الشجرة**): كيف بقيتِ صامدةً في وجه ذلك الدمار؟!.. كانت تلك الخرائب ذات يوم المأوى والسكن!..

"تعلو تدريجيًا أصوات دفوف عُرسٍ في الخلفية وأسيل تنظر إلى السماء مشدوهة"

أسيل :عُلِّقَتْ هنا زينات عُرسي.. كنت أشاهدها من شرفتي (**تشير نحو طرحة الزفاف**) كنت تراقبني يا زين وأنت تنتظر أن أُزَفُّ إليك.. ليلتها، تناثرتْ جدائلي البكر على كتفيّ أمامك لأول مرة..

"تصمتُ للحظاتٍ وهي تتأمل ما حولها.. تقترب من الشجرة على مهلٍ وتمد يدها في تجويف قُرب نقش القلب وتخرج منه ورقةً مطويةً"

أسيل: ما هذا؟.. كيف حُفظتِ هنا طوال ذلك الوقت؟!.. رحمتك يا الله.. لم يبقَ لي سوى رسالة غرام دفنوا صاحبها تحت أنقاض داره!.. بلادي.. أهلي.. أنااااا.. .

"تخفتُ الإضاءة قليلًا بصورةٍ رومانسيةٍ وتعلو موسيقى الزفاف تدريجيًا بينما تتجه أسيل لتلتقط طرحة الزفاف وترتديها وينهض زين ليتناول"البابيون" ويرتديه.. يتقدمان نحو بعضهما مبتسمين في سعادة.. وقبل أن تتلامس أياديهما يعلو صوت القصف فجأة وتضطرب الإضاءة"

زين (**هاتفًا**): أسيل.. لازال أهلي في الدار..

أسيل: أستخرج وسط هذا القصف؟!

زين: لا يمكنني تركهم..

أسيل: لن تتمكن من العودة إليهم..

زين: عليّ أن أحاول..

أسيل: انتظر يا زيني.. انتظر..

"يخرج زين وهي تجري خلفه.. يعلو صوت الرصاص للحظاتٍ مع الإضاءة المضطربة.. بعد قليلٍ تستقر الإضاءة في بؤرتي ضوء، إحداهما مُسلطة على أسيل وهي تدخل سائرةً في وهنٍ لتجلس على الكرسيّ الهزاز وتحركه في توتر، بينما يُلقى زين من"الكالوس" ليسقط على خشبة المسرح وهو يرتدي زي السجون البرتقالي، مقيد اليدين ومعصوب العينين بشريطٍ أسودٍ"

أسيل: ناديتُ كثيرًا ولم يجبني أحد.. كانت أمي بجواري تزغرد.. وأبي كان هنا في الحديقة يجلس بجوار الشجرة العجوز بين المدعوين.. كنت أخجل من أن يقرأ أبي حرفي اسمينا – أنا وزين – حول القلب المنقوش في جذعها (**تربت على جذع الشجرة**) لم ذهبت يا زين؟.. قلت لك ألا تفعل.. لم تدركهم ولا أدركوك.. آآآه..امتد الدمار لداركم.. امتد بطول بغداد وعرضها.. لم يبقِ فيها حجرًا على حجرٍ.. نبشتُ كل الأحجار.. بحثتُ عنكم طويلًا جدًا دون جدوى.. آآآآه يا وجعي.. آه..

"أصوات القصف تأتي من بعيدٍ.. تتحرك أسيل متخبطة في ارتباك وخوف.. تعلو أصوات القصف مختلطةً بصوت نُباح كلابٍ وزين يصرخ متقلبًا أرضًا كما لو كانت الكلاب تهاجمه..

لحظات وتصمت الكلاب ويستلقي زين أرضًا كأنما قد فقد الوعي.. تخفتُ الإضاءة تمامًا عدا بؤرة ضوء تتابع أسيل وهي تخلع طرحة الزفاف وتتناول الشال الأسود لترتديه وتتقمص شخصية سيدة عجوز"

السيدة: داهموا الدار بحثًا عن سلاح ما.. أي سلاح كان يخفيه أبو إبراهيم في الدار؟!.. أي سلاح أخفيت من وراء ظهري يا ابن الكرديّ؟.. أأنت راضٍ الآن (**تشيح بيديها في الهواء**) نثروا أشلاء مخك العنيد في الهواء من حولي!.. من لي بعدك يا حُسين؟!.. من لي بعدكما يا أبا إبراهيم.. قبل شهور فقدنا الولد واليوم أفقدك أنت!.. آه يا ويلي.. ياويلي..

"بعد لحظةٍ تعلو الإضاءة بعض الشيء فلا نرى زين في مكانه بينما نرى أسيل تخلع الشال الأسود وترتدي طرحة الزفاف مرةً أخرى وتجلس على مقعدها الهزاز.. لحظات أخرى وتعلو أصوات جموع تُردد الشهادة بينما يدخل زين حاملًا كفن طفلٍ، متقمصًا شخصية رجل فقد ولده.. يتقدم إلى منتصف المسرح ليضع الكفن أرضًا في رفق ويقف أمامه استعدادًا للصلاة عليه"

الرجل (**باكيًا**): الله أكبر..

"تقترب أسيل من الرجل الذي وقف يصلي على ولده وسط الطريق"

obeikan.com

الرجل (**باكيًا**): الله أكبر..

أسيل (**تنظر إلى الطفل**): وما جريمتك أنت الآخر يا صغيري؟..

الرجل: الله أكبر..

"تنظر أسيل نحو الرجل للحظةٍ ثم تدور حوله هو والطفل في ذهولٍ"

الرجل: الله أكبر..

أسيل: تركتهم يسرقونه منك كما سرقوهم مني!..

الرجل: الله أكبر..

"تنتظر أسيل حتى يَنهي الرجل صلاته ويجلس أرضًا بجوار الطفل مُنكس الرأس"

أسيل: ألم يكن من الأفضل أن يأخذوك معه؟.. أن يأخذوني معهم؟!.. (**ينهض حاملًا ولده**) لمن نحيا بعد أن تركونا وحدنا؟.. لمن؟!..

"يخرج الرجل بينما تتلفت أسيل حولها"

أسيل: لمن أحيا بعد أن تركوني؟!.. تركتني يا زين؟!.. وعدتني أن تعود (**تشير بيديها في الفراغ**) أين اختفت داركم؟.. كانت هنا!.. أين هي وسط ذلك الخراب!.. لِمَ لم تعد يا زين؟!.. لِمَ؟..

obeikan.com

"تتحرك أسيل لتجلس على أحد الأحجار بجوار الشجرة منكسة الرأس بينما يدخل الرجل مرةً أخرى دون الكفن.. يتناول العصا– متقمصًا شخصية رجل مُسن– ويتقدم نحوها في وهنٍ"

المسن: ما بالكِ تجلسين هكذا يا ابنتي؟..

أسيل: أبحث عنهم يا عم.. ألم ترَّهم؟

المسن :من يا ابنتي؟..

أسيل: أبي وأمي (**في ضيق**) هؤلاء المزعجين ذوي الأقنعة الطبيّة كانوا يحملونهم على محفاتٍ ويخفون وجوههم.. يريدون مني أن أصدق أنهم رحلوا (**تتمسك بذراعه**) هم لم يرحلوا، أليس كذلك؟.. هم يخدعونني..

المسن (**في أسى**): لم نَعد ندري أين يكمن الخداع يا ابنتي.. الموت وحده أصبح عين الحقيقة..

أسيل (**في هيستيريا**): لا.. لاااااااا

"تخفتُ الإضاءة بينما تعلو أصوات الدبابات والمدرعات مختلطةً بصوت القصف مرةً أخرى.. يستقيم جسد المُسن وهو يضع العصا تحت إبطه ويتناول"الباريه" ليرتديه متقمصًا شخصية ضابط"مارينز"تعلو أصوات الغربان مختلطةً بصوت الأذان الآتى من بعيدٍ تجلس أسيل على الكرسيّ وتحركه وهي تئن في ألمٍ دون الالتفات إلى الضابط"

أسيل (**فجأة**): ابتعدوا من هنا.. لقد دهستم كل شيء بخطاكم القذرة.. أما كفاكم ما فعلتم؟!.. كفوا.. ارحلوا الآن عن داري..

"يتجه الضابط نحوها في تعالٍ ويتكلم الفصحى بلكنته الغربية"

الضابط: أرجوكِ سيدتي.. دعينا نؤدي واجبنا في هدوء..

أسيل (**ثائرةً**): واجبكم؟!!

الضابط (**في حزم**): حمايتكم.. حماية العالم من بؤر الإرهاب التي تضخمت في غفلة منكم.. (**يشير لها بإصبعه**) أتصرخون في وجوهنا عوضًا عن أن تشكرونا؟!

أسيل: على ماذا نشكركم؟!..

الضابط: لقد خلصناكم من الطاغية الذي قهركم وأذلكم وامتص دماءكم لسنوات.. لا تنكروا أننا حررناكم لتنعموا أخيرًا بالديمقراطية..

أسيل: ديمقراطية!..

الضابط: حملتنا العسكرية موجهة ضد أولئك الخارجين عن القانون الذين يحكمون بلدكم وليست موجهة ضدكم.. سندمر هيكل الإرهاب.. لن تكون هناك حروب عدوانية ضد جيرانكم..

لن تكون هناك مصانع للسموم.. لن تكون هناك إعدامات لمنشقين.. لن تكون هناك غرف تعذيب أو اغتصاب.. سنساعدكم على بناء عراق جديد مزدهر وحر*

أسيل: حر؟!..

الضابط: بالتأكيد..

***بعض جُمل من خطاب چورچ بوش قبيل الاجتياح الأمريكي للعراق يوم 9 أبريل 2003**

obeikan.com

"تخفتُ الإضاءة ونستمع في الخلفية إلى صوت وزير الإعلام العراقي محمد سعيد الصحاف"

الصحاف: العاصمة الآن تتهيأ وقوات بغداد - أجزاء منها وبخاصة وحدات الكوماندوز- تتهيأ لسحقهم*

"لحظات وتُضاء الخلفية بـ "ڤيديو" لسقوط بغداد ويُختتم بإسقاط تمثال صدام حسين.. تعود الإضاءة تدريجيًا.. أسيل في نفس مكانها بينما يتجه نحوها ضابط"المارينز.. "

الضابط: بإذنكِ سيدتي..

"يخرج الضابط ويتركها تتطلع حولها في صمتٍ.. بعد قليلٍ تخرج لبعض الوقت ثم تعود وفي يدها مقص.. تتجه لتجلس على حجرٍ بجوار الشجرة"

أسيل: لقد سقطنا جميعًا يا زين.. (**تخلع الطرحة**) سقطت بغداد أسيرة الأطماع لأجلٍ لا يعلمه إلا الله.. (**تمسك بخصلات شعرها**) وفي أعرافنا.. السبايا لا يتحلون بالجدائل أوالعطور.. (**تبكي وهي تقص شعرها**) كلتانا سبيةً

***جزء من آخر أحاديث وزير الإعلام يوم 8 أبريل 2003 قبل الاجتياح الأمريكي للعراق.**

يا بغداد.. كلتانا سبيةً..

"تُلقي المقص وتنهار أرضًا وهي تهيل التراب على رأسها"

أسيل: يالنيسان الحزين.. ذهبتم جميعًا.. ذهبتم وتركتوني سبية الهوان.. ذليلة القهر.. آآه..(**تخلع حليّها**) السبايا لا يمسهن الحليّ أو الحريرِ.. آآه يا حسرتي على تلك الحرة التي بيعت في وطن النخاسة مقابل حفنةٍ من ترابٍ أسود..

"تخفتُ الإضاءة تمامًا ويعلو صوت موسيقى حزينة.. تعود أسيل للجلوس على الكرسيّ الهزاز وتحركه في بطء مخفيةً رأسها بين كفيها.. يدخل زين يتناول شال المقاومة ويرتديه.. يجلس على إحدى ركبتيه أرضًا ويُخرج من جيبه ورقةً وقلمًا ويتكئ على ركبته الأخرى ليكتب بينما تتطلع أسيل إلى الورقة التي في يدها في تساؤل"

أسيل: منذ متى وتلك هنا؟.. (**تنظر نحو الشجرة**) أتركتها لي يوم زفافنا يا زين ونسيت أن تخبرني؟!.. ربما.. لقد خرجت كالمجنون ولم تعد!.. آهٍ يا زين.. بعد كل تلك السنوات أجد منك مجرد تذكار؟!..

"تعلو الإضاءة قليلًا في بؤرتين، واحدة حيث تجلس أسيل وهي تقرأ الرسالة والأخرى حيث جلس زين يكتبها.. نستمع إلى صوته في الخلفية"

زين: حبيبتي.. لا تصدقي أنني قد أصابني سوء.. أنا بخير وسآتي إليكِ.. سآتي كي نبني وطننا من جديد.. لا تتركي الأرض بحق ما منحك الله من إيمان.. أعلم مدى ألمكِ، لكن تشجعي.. كانت ليلتنا تلك موعد العُرس لكنه لن يتحول إلى سُرَادِقَ عزاءٍ برغم من رحلوا.. عليكِ أن تصمدي.. لا تيأسي، فلم يبقَ لأحدنا من أهلٍ سوى الآخر.. لا تذهبي أنا باقٍ هنا ما حييّت.. اجدلي خصلاتكِ أكثر حتى أعود فأحُلها لتنطلق حرة بين يديّ.. سأعود فانتظري اللقاء..

"تنهض أسيل لتسير مبتعدةً عن الشجرة في جمودٍ بينما ينهض زين وهو يطوي الرسالة ويتجه لإخفاءها في جذع الشجرة ويخرج.. بعد لحظةٍ تبدأ أسيل في الضحك بشكلٍ هيستيري"

أسيل: زين حي لم يمت!. وأنا قضيتُ الشهور أتسكع على كل الأبواب بلا وطنٍ أعود إليه!.. كنتُ دومًا تلك المتسكعة الغريبة الواقفة على أعتاب درجة أقل- رغم الترحيب- وزين هنا حي ينتظر!!.. يا إلهي.. أين أنت الآن يا حبيبي؟.. خلف أي حجرٍ تواريت؟.. أي سماء تلحفت بها في سنوات التيه؟.. (**تخرج وهي تصرخ**) أين أنت يا زين!..

"تخفتُ الإضاءة بينما يُعرض على الخلفية مشاهد للاجتياح الأمريكي.. تختلط أصوات المشاهد بأصوات شقشقة الطيور وقت الفجر.. تعود

الإضاءة تدريجيًا ليضاء المسرح بالكامل كأن الشمس قد أشرقت.. يدخل زين مرتديًا حُلَّةً كاملةً ويجلس إلى الطاولة كأنه يجلس بحديقة قصره.. يصب الشاي ليتناوله وهو يقرأ الجريدة.. بعد قليلٍ تدخل أسيل وتميل نحو حقيبتها لتلتقطها وهي تتطلع نحو زين كأنها لا تراه"

أسيل (**مصدومةً**): ما كل تلك الأسوار؟!.. أين داركم يا زين؟!.. أسُرِقَت أنقاض الدار؟!.. وأنت.. أين أنت من ذلك كله؟!.. أصبح يسيرًا أن أعثر على الأموات في مدينتنا والأحياء لا يدري بوجودهم أحد؟!.. من هؤلاء يازين؟!

"تخرج مندفعةً من الجهة الأخرى كأنما تحاول الالتفاف حول سور القصر.. بعد لحظةٍ يطوي زين الجريدة ويتركها على الطاولة وهو ينهي الشاي.. ينهض كأنه يستعد للخروج في اللحظة التي نسمع فيها صوت شجار أسيل مع من داخل القصر"

أسيل (**ثائرةً**): ابتعدوا عن طريقي.. كيف تستبيحون ممتلكات الغير بتلك الصورة؟!..

أحد من في القصر: بل كيف تقتحمين أنتِ القصر بهذه الطريقة؟.. توقفي سيدتي قبل أن..

"تندفع أسيل إلى المسرح فيتراجع زين للخلف قليلًا ليراقبها دون أن تراه.. تبدو على ملامحه مشاعر مختلفة بين التوتر والفرحة وعدم

الاستيعاب.. تتجول أسيل في حديقة القصر في حزن بينما يشير زين إلى من بالداخل أن يتوقفوا فيسود بعض الهدوء.. "

أسيل: ماذا فعلتم؟!.. أين داري؟.. كدتُ أُزَفُّ إليها في تلك الليلة!.. شجرة الياسمين.. مقعدنا الحجري بجوارها.. الريحان الذي كانت تفوح منه رائحة خالتي (**زين يبكي**).. راكية الشاي ورمادها الذي كنا نكتب به على الجدران.. (**تقترب من الجدار**) هنا كتبتُ اسمك محاطًا بقلبي يا زين.. وهناك كتبت أنت..

"يقترب زين منها ليقف خلفها تمامًا ويقاطعها كأنه يكمل كلماتها"

زين: أحبكِ..

"تتسمر أسيل مكانها للحظةٍ ثم تلتفتُ ببطءٍ نحو زين.. تقترب منه غير مصدقةً بينما يتأملها هو ممسكًا بكتفيها في سعادةٍ"

أسيل: زين!!

زين: حبيبتي..

"تتمسك بيديه في قوةٍ ويدوران حول بعضهما بينما تخفتُ الإضاءة قليلًا وتعلو في الخلفية أصوات دفوف العُرس تليها أصوات القصف مختلطةً

بصوت رسالة زين وتصريحات الصحاف وأصوات نُباح الكلاب.. تهدأ كل الأصوات تدريجيًا ويبقى صوت زين وحده وهو يقول: اجدلي خصلاتك أكثر حتى أعود فأحُلها لتنطلق حرة بين يديّ.. سأعود فانتظري اللقاء"

أسيل (**فرحةً**): لقد عُدت يا زين..

زين: لم أرحل لأعود يا حبيبتي.. قلت لكِ أني باقٍ هنا وبقيت.. وبحثتُ عنكِ طويلًا.. أين كنتِ؟..

أسيل: سافرتُ، ولم أعثر على رسالتك إلا حين عُدتُ بالأمس.. لم أكن أعلم أنك حيّ..

"تبدأ في البُكاء فيحاول أن يهدئها.. يُجلسها على مقعدٍ ويجلس بجوارها على الآخر بينما تدير هي عينيها في المكان"

زين: هل أعجبكِ؟

أسيل:......................

زين: حبيبتي.. ما بِكِ؟..

أسيل (**تشير إلى اللاشيء**): ما كل هذا؟..

زين (**مبتسمً**): سأخبركِ..

"تخفتُ الإضاءة تمامًا ونستمع إلى موسيقى– قد تكون من"الفلكلور" العراقي– بينما يتحدث زين إلى أسيل في دفءٍ واضحٍ دون أن يترك

كفيها.. يندمج في الحديث بتعبيراتٍ متباينةٍ على وجهه بين التوتر والحزن واللهفة والراحة والألم.. بعد لحظاتٍ يترك يديها ويتابع حكيه وهو يُعد لهما الشاي.. تعلو الإضاءة تدريجيًا وتهدأ الموسيقى وهو يناولها فنجان الشاي بينما تنظر هي إليه في شرود.. ينكس رأسه بينما تتناول هي الشاي في صمتٍ"

زين (**في تلطفٍ**): أستبقين صامتةً هكذا؟

أسيل:..................

زين (**في فروغ صبرٍ**): أخبرتُكِ بكل ما حدث لي منذ تلك اللحظة التي تركتُكِ فيها ليلة زفافنا وحتى الآن.. فما بالكِ تنظرين إليّ هكذا؟!..

أسيل: قد تغيرت كثيرًا!..

زين: إنها الحياة..

أسيل (**بعد لحظةٍ**): لم أتصورك يومًا بمثل هذا الضعف..

زين (**مستنكرًا**): ضعف؟!.. لو كنتُ ضعيفًا ما كنتُ أمامكِ الآن.. أنتِ لا تدرين أي جحيم عشته هنا بينما هربتِ أنتِ بعيدًا..

أسيل: لم أهرب.. كنتُ قد خسرتُ كل شيءٍ حتى أنت..

زين (**غاضبًا**): أنا كنتُ هنا تنهشني كلابهم..

أسيل: ونجوت بسبب صفقة معهم..

زين: وماذا في ذلك؟..

"تترك فنجان الشاي وتنهض دون أن تجيب وهي تحيط كتفيها بكفيها.. يتنهد زين في ضيقٍ لكنه يقترب منها ويربت على كتفيها بحنانٍ"

زين: أتشعرين بالبرد؟..

"تهزُ رأسها دون ردٍ فينظر نحوها لحظةً ثم يدخل إلى القصر ويعود بعد قليلٍ يحمل شالًا من الحرير الأبيض ليحيط به كتفيها"

زين: أتذكرين هذا الشال؟.. (**تهز رأسها موافقةً**) شال أمي.. الشيء الوحيد الذي تبقى من تلك الليلة.. جذبته وأنا أهرب من الدار لأضمد به جرح أصابني.. (**يرفع شعرها عن وجهها**) تحسنتِ الآن؟..

أسيل (**تضم الشال بقوةٍ**): نعم..

زين (**في حنانٍ**): كنتُ أنتظركِ طوال الوقت.. أحلم بلقاءنا.. لم أفقد الأمل يومًا.. كنتُ وحيدًا رغم كل ما حققته وتمناه العشرات..

أسيل: ورفضه مئاتٌ آخرون..

زين: توقفي عن حديثكِ هذا، أما آن لنا أن نستريح؟!..

أسيل: على أنقاض ماضينا؟!..

زين: على أنقاض ماضينا، نعم.. لم يتبقَ من ذلك الماضي سوانا، وكان عليّ المقاومة لأجلكِ..

أسيل: لم أكن أعلم أنك لازلت على قيد الحياة، لكني مع ذلك قاومتُ علّني يومًا أستطيع استعادة ما فات..

obeikan.com

زين: ما فات لن يعود.. اعلمي ذلك جيدًا.. أنا أقسمتُ أنني سأعود منذ أن رأيتُ جثث الأهل وأشلاؤهم المحترقة ولم تكوني بينهم.. كنتُ أرفل في القيود في ظلمة الزنازين الباردة ومع هذا لم أيأس.. ولكي أعود كان لابد من الصفقة.. وعدت.. (**يشير حوله**) وبنيتُ الدار..

أسيل (**تنظر إلى طرف الشال**): إن الشال مُتسخ.. انظر.. بقعة الزيت تلك شابت بياضه..

زين (**يضع يديه على كتفيها**): سأحضر لكِ أثمن منه..

أسيل (**في حزنٍ**): لكني لا أريد سواه..

"تخفتُ الإضاءة ونستمع في الخلفية إلى موسيقى حزينة خافتة– ربما تكون من"الفلكلور" العراقي– تنفلتُ أسيل من بين يدي زين وتتجه نحو حقيبتها– التي تركتها بجوار المقاعد– لتتناولها وتتحرك مبتعدة عنه في صمتٍ"

زين: إلى أين تذهبين؟

أسيل: إلى داري..

زين: وحدكِ؟

أسيل (**تبكي**): وحدي..

زين: وأنا؟..

أسيل (**بعد لحظةٍ**): من أنت؟..

"ينكس رأسه دون أن يجيب فتضع حقيبتها أرضًا وتتجه نحوه مرةً أخرى.. تبكي وهي تحتضنه ثم تتراجع سريعًا وتمسح دموعها في الشال.. تحمل الحقيبة وهي تتراجع بظهرها نحو الكرسيّ الهزاز دون أن ترفع عينيها عن زين الذي تسمر مكانه يتطلع إليها.. تضع الحقيبة بجوار الشجرة وتجلس على الكرسيّ وهي تهزه في إيقاعٍ بطيء"

أسيل: سأغمس الشال كل صباح في مياه الفرات.. سأعلقه على جدار الدار حتى يجف بينما أجدل ضفائري من جديد.. يومًا ما ستمس الأرض بين خطواتي.. ويومًا ما سيعود الشال ناصعًا نقيًا كما كان.. وحينها فقط.. قد أعود!

(ستار)

***

obeikan.com

obeikan.com

حمام دافئ

سرتُ متمهلةً بجوار سور"الأوبرا" في طريقي إلى محطة"المترو"– بعد انتهاء"البروفة"– وأنا ألتقط أنفاسي بصعوبةٍ مع ذلك الجو الخانق المشبع بالرطوبة، كنتُ أُمني نفسي بانفرادة مع عدة القهوة قبل انقضاء ساعة العصاري كعادتي طوال أسبوعٍ مضى من إجازتي، فكرتُ كيف مرت سبعة أيام وأنا أبيت وحدي في المنزل بدون أمي وشعرت بالغيظ من ذلك الطفل الذي تنتظره هانيا لتسببه في كل تلك الفوضى!..

"سرحانة في إيه يا أستاذة؟.." تنبهتُ على صوت رامي الآتي من الاتجاه المعاكس، ابتسمتُ لملامحه البشوشة وسألته:

– إنت بتختفي فين يا فنان؟.. مفيش حتى مبروك على المسرحية الجديدة!..

– غصب عني والله يا هالة.. عندي زحمة شغل..

– ربنا معاك.. عمومًا إحنا لسه في بداية البروفات.. ضروري تيجي في يوم.. عايزة رأيك..

– طب ما تيجي نقعد نشرب حاجة وتحكيلي الحدوتة؟..

كنتُ أعرف تلك النبرة التي تتسلل إلى صوته كل مرة ينفرد فيها بالحديث معي، أبعدتُ عينيّ عن عينيه المثبتتين تجاهي وابتسمتُ مجيبةً:

– بصراحة أنا هلكااااانة يا رامي.. ولو على الحدوتة خلي هند تحكيهالك ولما تيجي تزورنا في البروفة نسمع رأيك..

هربتُ إلى ذكر اسم زوجته هند ككل مرةٍ أتعرض فيها لموقف مشابه معه، خاصةً وهي المخرج المنفذ لمسرحيتي الجديدة، صَمَتَ للحظةٍ ثم أجابني بابتسامةٍ مترددةٍ في إحباطٍ:

– اتفقنا.. مبروك

صافحني وانسحب من أمامي فجأة كما ظهر فجأة، تابعتُ خطواتي إلى"المترو" وأنا أفكر في ذلك الخط المستقيم بين رامي وهند الذي كان من الممكن أن يتشوه متحولًا إلى أضلاع مثلثٍ ينغلق على ثلاثتنا!..

كانت هند فنانة مثقفة ومُجِدَّة، لها رؤية مميزة فيما تُقَدِّم والتي أُعجب بها شخصيًا، أما رامي فمعرفتي به كانت أقرب بحكم أنه زميل قلم عرفته قبل أن ألقاه من كتاباته على الشبكة العنكبوتية، حتى جاء لقائي به وجهًا لوجه لأول مرة منذ عدة سنواتٍ في عرضٍ لأحد الأفلام القصيرة التي قام بكتابتها، لاحظته بعد دخولي بلحظاتٍ- وأثناء وقوفي مع بعض الزملاء- يتطلع نحوي ويميل على أُذن أحدهم ليقول شيئًا وهو يبعد نظراته عني، فابتسمتُ وأنا استدير لأفعل المثل مع أقرب الحاضرين إليّ وأسأله عمن يكون، ومنذ ذلك الحين وفي كل مناسبة كانت تجمعنا كنت أشعر بميله نحوي بشكلٍ ملحوظ، وفي كل مرة كنت أتوقع تصريحه بذلك- رغم أني لم أكن أحمل جوابًا محددًا إذا فعل- لكنه كان يظل صامتًا ينوء بمشاعره وحده!..

تحركتُ نحو باب عربة"المترو" بقوة الدفع لأتمكن من الهبوط في محطة السادات، قرأتُ لافتة الاتجاه وأنا أتذكر ذلك اليوم الذي حدثني فيه رامي طالبًا مقابلتي دون مناسبة، عرفتُ حينها أنه سيصرح بما في نفسه، وفهمت أخيرًا سبب تردده الطويل!..

أخيرًا وجدتُ مكانًا للجلوس بجوار إحدى النوافذ فأرخيت جفنيّ بعد أن أحصيت عدد المحطات المتبقية وأنا أثبت سماعات الهاتف في أذنيّ منصتةً إلى إحدى إذاعات ال FM التي لم أتبين اسمها..

انتظرتُ رامي في ذلك اليوم وأنا أنصتُ إلى صوت"الست" وهي تشدو:

أنا في انتظارك خليت

ناري في ضلوعي وحطيت

Obeikan.com

إيدي على خدي وعديت

بالثانية غيابك ولا جيت

يا ريتني عمري ما حبيت

حاولتُ أن أجهز بعض الكلمات الدبلوماسية للرد عليه إذا ما صرح بما أتوقعه، فأنا أقدره وأشعر بما يحمله لي لكن لم يتسلل إلى نفسي ذلك الشعور الذي كنت انتظره طوال عمري، ومع هذا كان من الأفضل أن يصرح وأحسم الأمر..

جاء ليجلس قبالتي سامحًا لتوتره بالانطلاق عبر نافذة مكتبة البلد المطِلَّة على شارع محمد محمود من ورائي، وبعد بضع لحظات تطلع إليّ مبتسمًا، حرك مقعده قليلًا ليجاورني وأخذ يدندن مع"الست" حتى انتهى"الكوبليه" ونظر في عينيّ مباشرةً وقال:

- أنا في انتظارك..

هربتْ مني كلماتي وأنا أشعر بالخجل من جرأته غير المألوفة وتركتُ له ساحة الكلام منفردًا، صارحني بما توقعتُ وهو يخبرني أنه وجد معي الشعور الذي حلم به طويلًا، ذلك الانجذاب الذي يحدث منذ الوهلة الأولى ولا يفارق قلوبنا بعدها، وخفت صوته وهو يخبرني أنه لم يشعر بذلك حتى مع هند، ودون أن أسأله عمن تكون- متوقعةً أن اسمها إشارة لقصة حب مضت أو ما شابه- قال سريعًا:

- هند مراتي يا هالة..

وقبل أن أستوعب ما يقول أو أجد فرصة للنطق بأي حرف طلب مني الزواج، ظللت أتطلع نحوه للحظات قبل أن أتناول كوب الماء وأرتشف منه بضع قطراتٍ في صمتٍ، وجدتني في لحظةٍ أفقد كل كلماتي الدبلوماسية التي جهزتها مسبقًا وأحتار في اختيار سببٍ من اثنين للرفض، كان أولهما أني لا أبادله نفس الشعور لكن مع التعديل في إحداثيات الموقف أصبح السبب الثاني أولى وأهم، أوقفته أنا عن متابعة الحديث حول

حقه في الزيجة الثانية الذي لا أنكره عليه، ولكن لأذكره أن من حقي أنا وهند الرفض أو القبول، فلو قبلتْ هي فأنا لن أقبل، أطرق رأسه قليلًا وأنا أُلملم حاجياتي استعدادًا للذهاب وقبل أن أفعل أمسك بيدي وسألني:

- حد تاني؟..

- لأ يا رامي.. الحكاية زي ما قلتلك ببساطة.. مفيش شعور متبادل ولو في أنا مش هاعرف أعيش مع جزء منك..

- بس ده حقي!..

- حقك آه.. بس ماتنساش حقنا إحنا كمان..

ظللتُ لفترةٍ طويلةٍ بعد هذا اللقاء أفكر في هند، لم أكن وقتها أعرفها جيدًا لأتوقع إن كانت ستقبل أو ترفض مثل ذلك الوضع، ولأننا لسنا صديقتين- على الرغم من عملنا معًا مؤخرًا- لا أستطيع استنتاجه حتى الآن، لكن تصرفاتها معي كانت توحي بأنها إن لم تكن على علم برغبة رامي السابقة فعلى أقل تقدير كانت تشعر بها، تُرى كيف كانت ستسير الأمور لو علمت ولو بادلتُ أنا رامي ما يحمل لي من مشاعر؟!..

توقفتُ للحظةٍ أتطلع لتاريخ اليوم على النتيجة الورقية- المعلقة بجوار باب الشقة- لأحسب الأيام المتبقية من الإجازة، مزقتُ الورقة الأولى في ضيقٍ وأنا ألعن الوقت الذي دائمًا ما يتناسب عكسيًا مع حاجتنا إليه، فيركض سريعًا إن أردناه أن يترفق بأفراحنا الشحيحة، ويتلكع في تلذذٍ حين تمضغ الأحزان مشاعرنا!..

حملتُ بعض الأوراق القديمة – من عهد ما قبل"اللاب – توب"– ونشرتهم على الطاولة الأبانوسية في الشرفة وأنا أعد قهوتي، فَتَّشْتُ عن أوراقٍ بعينها كنتُ أذكر

لونها الوردي ونقوشها المنمنمة على الأطراف، وأذكر أنني كتبتُ على يسارها بقلم أسود اللون وبين قوسين حالكين عبارة"ماذا لو؟!"

ارتبكتْ أناملي حين عثرتُ عليها وكدتُ أضعها فوق نيران "السبرتاية" عوضًا عن القهوة، لكني تداركت ارتباكي في اللحظة الأخيرة وألجمتُ لهفتي على قراءتها حتى انتهيتُ من إعداد القهوة وصببتها واسترخيتُ في مقعدي أطالعها، بعد لحظات- التهمتُ خلالها أسطر الأوراق- وجدتني أنهي المتبقي من قهوتي بجرعةٍ واحدةٍ لأبدأ في تعديل الأوراق بالقلم الرصاص بالتزامن مع إعدادي لملف ال"وورد" الذي يضم مشروعي الجديد على"اللاب – توب"، أخيرًا نَحَّيتُ عدة القهوة جانبًا وبدأت أكتب!..

***

❖ رأيتها من خلف الستار البلاستيكي وقد استسلمتْ مكرهةً لزخات مياه الاستحمام، كلما انهمرتْ المياه ومحتْ آثار لمساته عن جسدها ازداد بُكاؤها أكثر وزاد إشفاقي عليها أكثر وأكثر، كيف سمحتْ لأي شيء أن يسلبها لمساته الأخيرة؟!.. تابعتُ في ألمٍ ظلها المترنح خلف الستار وهي تتساءل بصوتٍ مرتفعٍ:"الأخيرة!"..

***

اهتزتْ "كنكة" القهوة أمام عينيه من بين عبراته الحبيسة، بصعوبةٍ تأكد أن القهوة مازال أمامها بعض الوقت لتنتهي فاستسلم لشروده وأنا أحيط جسده في نعومةٍ دافئة، مال نحوي قليلًا ليتشمم العطر الذي اختارته هي لي، كانت تُصر على أن أحمل شيئًا من عطرها ليأتنس به حتى وهو بين ذراعيّ أنا، مرار ابتسامته- وهو يداعب الدبلتين الفضيتين في بنصره الأيسر- فاق ذلك الذي ينتظره من قهوته، أعلم أنه لم يعتدْ حتى الآن على موقعها الجديد في حياته رغم مرور كل تلك الشهور، نعم هي الأخرى زوجته لكنها كانت الثانية وذلك الترتيب جاء بعد كثير من المشكلات وتسبب فيما بعد في الكثير منها أيضًا!..

لقد كانت ناعسةً هنا على صدره منذ لحظاتٍ قليلةٍ، انسدلتْ خصلات شعرها الداكن على ذراعيه لآخر مرة، ورغم أني أنا من يحيطه بذراعيه الآن، إلا أنه مازال لا يشعر سوى بذكرى لمساتها هي..

"أخر مرة!"..

obeikan.com

سمعته يُرددها في همسٍ مسموع وهو يقبض عضلات صدره بشكلٍ مفاجئ جعل كفه الأخرى ترتطم- في رد فعل عكسي-"بكنكة" القهوة لتنسكب على ذراعي بالكامل!..

***

كم كرهتْ ذلك الصابون الفاخر الذي أخذ عطره يحتل مسامها عوضًا عن رائحة جسده، بكتْ في حسرةٍ أشعرتني أنها كرهته هو نفسه لأنه من اشتراه لها برائحة الياسمين الذي تفضله، كم كرهتْ الياسمين أيضًا، أي قُساة كانوا.. هو والياسمين!..

تابعتْ رغوة الصابون المعطر بأنفاس حبيبها وهي تعدو مبتعدةً في أرضية حوض الاستحمام، لحظات وأوقفتْ انهمار المياه وهي تتجنب المشهد، اتكأتْ على ذراعي كأنها تمنعني من احتضان جسدها المنذور لعشقه، أهكذا يذهب كل شيء كفقاعات الصابون!..

***

اتجه بيده المحروقة نحو الماء وعبراته تتمرد أخيرًا عليه رغم أن الحرق لم يكن مؤلمًا إلى تلك الدرجة، تناول ذراعي أيضًا ليغسلها ببعض الماء الدافئ في حركاتٍ متوترةٍ ودموعه تخطو فوق شفتيه غير عابئةً برجفتها لتتابع طريقها متساقطةً على صدره فتمحو ما تبقى من دفء لمساتها، ما هذا الذي فعله بهما القدر؟!.. بل ما الذي يفعلاه هما؟!..

"حبيبتي!" هتف في فزعٍ- متجاهلًا ذراعي الملطخة ببقايا القهوة – وهو يخرج من المطبخ مسرعًا في اتجاه صوتها الذي ناداه في صراخٍ مكتومٍ!..

***

obeikan.com

هي لا تذكر كيف أظلمتْ الدنيا أمام عينيها هكذا بشكلٍ مفاجئ، لقد التفتتْ لتُطالع جريان الصابون في أرضية حوض الاستحمام وهي معتمدةً على ذراعي ولا تتذكر شيئًا بعدها، سرى الدفء في جسدها ففتحتْ عينيها تناديه في وهنٍ لتجده بجوارها يوسدها صدره، تلك المسكينة تصورتْ أن كل ما حدث منذ قليل كان مجرد كابوس مزعج، بدليل أنها الآن في فراشها دافئةً مطمئنةً بداخل ضمته الحنونة، لم تتذكر أنني أفلتُّ يدها رُغمًا عني، ولا تعلم أننا عاونَّاه أنا ورفيقي- رغم ذراعه الملتهبة – في الإحاطة بها لنحملها جميعًا إلى فراشها وتركنا له مهمة إفاقتها!..

"حبيبتي.. رِجلِك اتزحلقت ولا إيه؟" قالها وهو يمسح على جبينها لتكتشف أن شعرَها مُبلل فارتبكت ولم تفهم، هل سقطتْ في إغماءةٍ حقًا؟!.. ليس كابوسًا إذن!.. تمسكتْ به وبكتْ:

– خلاص؟!..

أراحها على الفراش ونهض مبتعدًا يبحث في أدراج"التسريحة" عن شيءٍ ما وهو يسألها متجاهلًا عبارتها:

– ما عندكيش مرهم مرطب؟.. دلقت القهوة على إيدي..

نهضتْ في تمهلٍ وهي لا تزال تشعر بالدوار، اقتربتْ منه ولمستْ يده وقبلتها قبل أن ترفع عينيها نحوه وهي لصيقة به تمامًا وهمستْ بشيءٍ لم يسمعه لكنه شعر به، تشابكتْ نظراتهما طويلًا، تداعتْ كل الأفكار فجأة وضمها إليه في قوةٍ فأسبلتْ جفنيها في استسلامٍ وعبراتها تبلل شفتيه التي تقبلها، همس لها:

obeikan.com

- شششششش.. ما تعيطيش..

أحاطتْ عنقه بذراعيها وبادلته القُبلات وهي تشعر بصدرها يأوى إلى صدره حين أحاط خصرها بقوةٍ، قبَّلا العيون التي كان فيهما اللقاء، والشفاه التي أطلقتْ أول سهام الهوى لتغرز في قلبيهما ذلك الألم اللذيذ، أي قرارٍ هزليّ كانا يوشكان على تنفيذه؟!.. أيعقل أن يهدما سعادةً بنياها في شهورٍ قليلةٍ بِشِقِّ الأنفس، وتنهار مقاومتهما الآن بعد كل ما تخطياه من عقباتٍ؟!.. ولماذا؟!.. حملها كطفلةٍ ليريحها فوق ساقيه وهو مستمر في التهام جسدها قطعةً قطعة بشوقٍ مجنون، همستْ هي:

- إوعى تسيبني..

- مش هاقدر أبعد عنك..

وأرقدها على الفراش مرةً أخرى..

***

استلقيا متلاصقين وكل منهما يتدثر بجسد الآخر مستسلمان لحالة الخمول التي شعرا بها بعد أن ارتويا حد السُكر، فتح عينيه ليجدها ناعسةً فوق صدره فظل سارحًا في ظلام الغرفة وهو يسوي خصلات شعرها في حنانٍ متأملًا ملامحها الوديعة بين لحظةٍ وأخرى وهو يفكر، أمن الصواب أن يتراجع عن قرار الفراق؟!.. هل ستكفيه تلك الشهور التي قضياها سويًا ليحيا على أطلالها ما بقي من عمره؟!.. أسيعود بقلبٍ وحيدٍ كما كان في السابق؟!.. لو كانت هي لم تنل منه سوى نصف حياة فهو لم يشعر بحياته حقًا إلا بقربها، لقد أتته بعد أن قطع

سنواتٍ عديدةٍ من عمره كان فيها نموذجًا للرجل الطموح الناجح وللزوج والأب الذي يُضرب المثل بحنانه واعتناءه بأهل بيته وتحمل مسؤوليتهم بابتسامة رضا لا تفارقه أبدًا، حاول كثيرًا أن ينأى بمشاعره بعيدًا عنها لكنه لم يستطع، كان يحمل لزوجته الكثير من مشاعر الود والامتنان لكن ما شعر به تجاهها هي كان مختلفًا، لأول مرة اتفق عقله وقلبه على أمر، لأول مرة يجد تلك التي جمعت بين حنان الأنثى والحبيبة وعقل الصديق الذي لم يحظى به أبدًا، لكنه – ورُغم عشقه لها– لم يتوقف يومًا عن لوم نفسه إذ ارتضى لها ذلك الوضع!..

أنَّت في تلذذٍ خافتٍ دون أن تفتح عينيها خشية أن يدرك أنها مستيقظةً فيبعدها عن صدره، منذ أن قابلته للمرة الأولى ولم تهتم لشيءٍ سوى قُربها منه، كانت حقًا تشعر بذنبٍ تجاه زوجته الأولى لكن الأمر لم يكن بيدها أو يده، هو لم يُسِرّ لها بحبه أو يخفيه عن العيون كأغلب الرجال إذا ما فكر أحدهم في زيجةٍ ثانية، يفعلون ذلك ليحظوا بعلاقةٍ جديدةٍ ممتعةٍ دون مُنَغِّصَات، أما هو فلا، لقد صارح زوجته بما شعر ومنحها حقها في القبول أو الرفض كما مُنح هو حق ذلك الشعور الآخر، كانت تعرف جيدًا أنه ذلك النوع من الرجال الذي لا تستهويه النزوات كثيرًا ولم يكن ليسمح لنزوةٍ ما أن تتقاسم مشاعره مع زوجته، لكنها تعرف أيضًا أنه عشقها فأسرع يُعلِمْهَا ويُعلِم زوجته وأبنائه، أما عنها فلم يبالي أهلها كثيرًا بوضعه الاجتماعي في مقابل التخلص من وضعها هي كمطلقة درءًا لعشرات الأفكار والأقاويل والسخافات!..

شعرا بعد فترةٍ— ورغم رضا زوجته وموافقة أهلها- بضغوطٍ واتهاماتٍ في عيون الكثيرين، عوضًا عما يعانيه هو حين قُسمت حياته بين العالمين؛ عالمه الأول حيث زوجته وأبنائه، وعالمها هي، رُغمًا عنهما بدأ كل هذا يوتر علاقتهما بشكلٍ حاولت كثيرًا امتصاص آثاره دون فائدة، أصبح عصبيًّا وأصبحت دائمًا حزينةً، افتقد فيها الصديق الذي أَلِفَهُ مؤخرًا وافتقدت فيه ذلك الحنان الذي عوضها كثيرًا عما قاسته من قبله، لو حُكِّم كل منهما في وضعٍ مماثلٍ لحالتهما كانا سيؤكدان على ضرورة تراجعه عن فكرة الارتباط بالزوجة الثانية، لذلك قررا الانفصال بعد ليلتهما تلك ليكون ذلك التاريخ ذكرى البداية والنهاية، لكن هل هذا هو المخرج بعد أن أضحى زواجهما حقيقةً واقعةً؟!.. .

كنتُ أراقبهما في صمتٍ لا يعكره سوى تأفف رفيقي المزعج طوال الوقت لمجرد تركهما لنا هنا على الأرض بجوار الفراش، حاولتُ أن أفهمه أنها أمور تحدث أحيانًا، فظل يشكو لي من عدم اعتناءه به وإهماله له مؤخرًا وَقَصَّ عليّ حادث القهوة وأراني ذراعه التي لازال واضحًا عليها آثار الحرق، ابتسمتُ وأنا أحاول أن أهون عليه وأذكره بعنايتهما بنا طويلًا فيما مضى وأن علينا تحملهما بعض الشيء، ذكرته باليوم الذي أتينا فيه للعيش معهما وكيف كنا متلاصقين يخشى أحدنا ترك الآخر، لكن- ورغم فرقتنا- لم نكن قريبين قدر ما أصبحنا ونحن نحيا معهما، لم يترك أحدنا الآخر لحظة، بل لم يفترق أي منَّا عن الثلاثة الباقين!..

"عاجبك كده؟!" قالها رفيقي في حنقٍ وهو يتهمني أنني كنتُ السبب فيما نحن فيه الآن لأنني أفلتُّ يدها فحدث ما حدث، حاولتُ أن

obeikan.com

أفهمه أن ما حدث أعادهما لبعضهما من جديد لكنه كعادته كان سوداويًا ورأى أن فراقهما مسألة وقتٍ ليس إلا، وأن ما حدث لم يتسبب سوى في إهانتنا بلا مقابل!..

فتحتْ عينيها متطلعةً إلى عينيه، نظراته مثبتةً على عينيها، نظراتها تلاحق أنفاسه، ذراعاه تضمانها بقوةٍ، يداها تتشبثان به في رجاء، بحثا في جوف الظلمة بعيونهما الشاخصة عن مستقر، أحقًا ليس للفراقِ بديل!..

أسيعود لعالمه ملقيًا عن كاهله كل اللوم والاستنكار وتعود هي إلى وحدتها لتنهشها أعين الفضوليين، وتنتهي القصة عند هذا الحد؟!.. وهل بعد تلك النهاية راحة؟!..

نهض ليحمل كلانا مرتديًا رفيقي متفقدًا بقعة القهوة على ذراعه الأيسر، بينما أرقدني أنا على طرف فراشهما في انتظار نهوضها، وقف يتطلع نحوها لحظةً قبل أن يشد الحزام على خصره هامسًا:

- هاخد حمام دافي..

***

obeikan.com

obeikan.com

عينيه والودع

obeikan.com

دائمًا ما تسعدني إنجازاتي الصغيرة أكثر من النجاحات الكِبار، ربما لأنها انتصار مختلس عنوةً دون ترتيبٍ مسبقٍ أو مجهودٍ يذكر، في ذلك اليوم استطعتُ أن أُنهي الجزء الذي قررت مراجعته من كتابي مبكرًا عن الموعد الذي حددته، لذلك قررتُ أن أُكافئ نفسي بشراء بعض الكتب التي صدرت حديثًا وتناول القهوة في أحد أماكني المفضلة، وبحسبةٍ سريعةٍ قررتُ التوجه إلى المعادي لأشتري ما أريد وأجلس في أيٍّ من"كافيهات"شارع 9 المتقاربة جميعًا من بعضها جغرافيًا ونفسيًا..

خرجتُ من محطة"المترو" وأنا أثبتُ سماعَتَيّ الهاتف في أذني لأستمع إلى"تراكات" فريق مسار إجباري، التي لم أستطع حتى الآن حل لغز الترابط بينها وبين السير في الطرقات، توقفتُ لمشاهدة تلك المشغولات الفضية المعروضة في"جاليري" مجاور للمحطة، رأيتُ خواتم بفصوصٍ فيروزية اللون منها الحريمي ومنها الرجالي وشعرتُ برغبةٍ في شراءِ شيءٍ مشابهٍ نتشارك فيه أنا وطارق لكني سارعت بالهرب قبل الاستسلام لتلك الرغبة، إن مجرد التفكير في البحث عن شيءٍ يجمعنا أنا وهو له دلالة توترني في شدة!..

توقفتُ عند مكتبة"ألِف" أتأمل فاترينة العرض وابتسمتُ وأنا أرى مؤلفات زملائي تحتل أغلبها، نحن جيل انفتح مؤخرًا على العالم ليملأه بأفكاره مهما بدت غريبة أو مستنكرة ممن سبقونا، لكننا في النهاية فخورين أن لنا بصمتنا الخاصة، في الداخل اتسعتْ ابتسامتي وأنا أرى آخر مؤلفاتي معروضًا في أحد الأركان، تجولتُ قليلًا ثم حملتُ ما اخترت من كتب ودفعتُ ثمنها لأتوجه بعدها إلى"بينوس كافيه"، قررتُ أن أشارك انتصاري الصغير على حسابي الخاص على ال.. facebook فكتبت أقول:

"في شارع 9 وبين أوراق الكتب.. للقهوة مذاقٌ آخر"

لحظات وجائتني إشعارات ببعض الردود والإعجابات كنت أتصفحها في استرخاءٍ حين انتبهت إلى ضاربة الودع التي وقفت أمام"الكافيتيريا" تدير بصرها في الجالسين من حولي؛ وتعلو وجهها ابتسامةٌ مبهمةٌ، حاول أحد"الجرسونات" إبعادها لكنه توقف حين أشارت لها تلك الفتاة ورفيقها، تابعتُ المرأة وهي تقترب من طاولتهما وتفترش الأرض بجوارها، تبادلت مع الفتاة حديثًا غير مسموع وهي تمسك بكفها وتقربه أمام عينيها للحظةٍ وتعبث في الودع الراقد أمامها على الأرض؛ دون أن تتوقف عن التمتمة بكلماتٍ غير مفهومة!..

***

❖ وعى كل منهما ليجد الآخر هو رفيقه الوحيد في الدنيا، تقاسما براءة الطفولة وسذاجتها، أحلام المراهقة المتسعة جدًا بلا حدود، لم يربيهما أهلهما- الذين تجاوروا في السكن منذ زمنٍ- قدر ما ربى كل منهما في نفس الآخر حلمه الخاص، كانت- حين يقص عليها ما يعجبه من بطلات الروايات- تحاول أن تقلدهنّ، وكان- حين تحكي له عن بطل الفيلم الذي شاهدته مع أسرتها

في السينما ليلة الجمعة – يحتار في أيهم يعجبها أكثر ليتشبه به، ومع الوقت اكتشفا أن كُلًّا منهما يفضل الآخر عن كل هؤلاء، وفي هذه اللحظة عرفا معنى أن يخفق القلب لشخصٍ بعينه!..

كانت تلك هي المرة الأولى التي يلتقيا فيها وحدهما بعد سنواتٍ عديدةٍ حلما فيها بذلك"الرانديڤو"، كانت قد قررت التخلي عن حضور آخر محاضراتها حين علمتْ أنه عائد اليوم أخيرًا بعد انتهاء فترة تجنيده، ارتدتْ الفستان الأبيض ذو النقوش السماوية الذي يحب أن يراها به وأحاطت شعرها القصير بطوقٍ أزرقٍ هربتْ منه بعض خصلاتٍ تمس جبينها، وذهبتْ لتنتظره في"سيلنترو كافيه" كما طلب!..

كنتُ أراها وهي تجلس على طاولةٍ خارج المقهى في انتظاره، تناست على الفور تلك الليالي التي افترقا فيها حين رأته آتيًا نحوها، كانت عيناه تُشِعَّانِ بمعانٍ عديدة، احتواء لم تشعر معه باليُتم حتى حين رحل والدها منذ فترةٍ ليست قصيرة، حرص على حمايتها منذ أن كان طفلًا يُصِرُّ أن يوصلها إلى مدرستها ولو من بعيدٍ دون لفت الأنظار، مسؤولية بريئة عن ابتسامتها التي تتلألأ مع كل مرة يقتطع فيها من مصروفه ليحضر لها"الشوكولاتة" كما كان

والدها يفعل كل مساء، كان بداخله أملٌ دائمٌ دفعه إلى أن يعمل إلى جانب دراسته كي يدخر ما يتيح له التقدم لها بعد انتهاء فترة تجنيده، في تلك اللحظة كانت مشاعره جلية في عينيه فَبَثَّت في نفسها الطمأنينة بأنهما في النهاية سيكونان معًا!..

جلستُ أتابعهما من مكمنٍ قريبٍ، لم يرفع عينيه عنها منذ لحظة وصوله وظل يتطلع إليها في صمتٍ أربكها وجعلها تهرب بعينيها من حصاره، بعد لحظةٍ مال نحوها وشعرت بأنفاسه تداعب خصلات شعرها وهو يهمس:

- وحشتيني..

كان مرتبكًا مثلها تمامًا، لأول مرة يتحدث عن مشاعره بشكلٍ مباشرٍ، كان يشعر أنه ليس من حقه أن يتحدث بما يُكِنُّهُ لها، حتى حين تخرّج لم يتمكن من قول كلمة"بحبِك" ولو من باب التمهيد، كان يعلم أنها على يقينٍ من حبه هذا لذلك فضل أن يصارحها بنواياه تجاهها مباشرةً فسألها حينها:"تتجوزيني؟"، لم يصدق نفسه حين همستْ وهو يبحث لها عن قطعة"الشوكولاتة" التي أحضرها لها:

- وإنت كمان وحشتني..

رفع رأسه نحوها وهو يكاد يعتصر ال"شوكولاتة" عوضًا عن أن يتهور فيعتصرها هي على صدره بكل ما يحمل لها من شوق، قاربتْ حرارته على الأربعين حين مدتْ أناملها الصغيرة لتُخلص ال "شوكولاتة" من بين يديه وهي تضحك في خفوتٍ خجِل وتقول:

- هاتكسر الشوكولاتة بتاعتي!..

لم يتركها لها، بل فَضَّ غلافها وكسر منها قطعة قربها لشفتيه وهو ينهض ليجلس بجوارها سائلًا:

- مش إنتي بتحبيها سايحة؟!..

وافقتْ بهزةٍ من رأسها وهي تائهة بين نظراته وذراعه الأخرى التي أحاطتْ كتفها وهو يقترب من شفتيها بقطعة ال"شوكولاتة" التي عليها بصمة أسنانه هامسًا:

- وأنا بحبِك إنتي..

كدتُ أسقط أرضًا من فرط المفاجأة، لقد أمضتْ هي ليالٍ طويلةٍ تُحاول أن تتصور كيف سينطقها لأول مرة، هي تعلم بالطبع أنه يحبها لكن الكلمة بنبرات صوته وعلى إيقاع أنفاسه لها مذاق خاص تمنته كثيرًا، لذلك ظلتْ مغمضة العينين تذيب قطعة ال"شوكولاتة" في فمها في صمتٍ سمعتُ خلاله صوت أنفاسها المتلاحقة وهو يربت على كتفها مرة وعلى شعرها مرات بصورةٍ جعلتها تشعر كم تمنى لو يضمها إلى صدره،"وأنا كمان بحبَك" أرادت أن تقولها لكن خجلها منعها!..

فتحتْ عينيها لتراه مبتسمًا ينظر فيهما، تناولتْ منه باقي ال"شوكولاتة" التي مازالت في غلافها وفضته تمامًا بعد أن اكتشفتْ ذوبانها بداخله، تناولتْ بعضًا منها على طرف إصبعها وهي تُقربه لشفتيه ليلعقه في هدوءٍ جرأها على النظر في عينيه، كررتْ ما تفعل أكثر من مرةٍ وفي كل مرةٍ يلعق فيها إصبعها كان يجذبها من كتفها إلى صدره في رفقٍ وتمني، وحين حاول هو أن يفعل مثلما فعلتْ وجدها تميل نحو كفه وتلعق عن إصبعه ال"شوكولاتة" ثم تضم كفه إلى صدرها وهي تهمس:

- بحبَك..

ورفعتْ عينيها نحوه لترى رد فعله فوجدته يسترق النظر نحوي أنا والمرأة التي تصاحبني حين قررتْ في خبثٍ أن نقتحم لحظتهما الحميمة، ربتتْ المرأة على كتفها وهي تقسم عليها بحياته عندها أن تدع لها الفرصة لتخبرها ماذا أرى أنا في عيني حبيبها!

التفتتْ الفتاة إليه لتعرف رأيه فهز كتفيه تاركًا لها حرية القرار، فاستدراتْ نحو صاحبتي وهزتْ لها رأسها موافقةً دون كلمات، أجلستني المرأة أمامهما على الطاولة التي يجلسان إليها ومدتْ يدها لتضم كفيهما بين كفيها وهي تقول:

- يارب.. يا كريم.. يا عظيم.. يسر لهم خيرك وأبعد عنهم كل شر..

وضعتني في كف الفتاة وهي تكمل:

- ادعي باللي في قلبِك ولا تقوليش دعوتِك..

فضمتْ الفتاة يدها عليّ بقوةٍ واقتربتْ مني "توشوشني" قائلةً:

- يارب اكتبنا لبعض..

تراجعتْ بعدها مبتسمةً فوضعتني المرأة في كفه هو هذه المرة مكررةً:

- ادعي باللي في قلبَك ولا تقولش دعوتَك..

ففعل تمامًا كالفتاة وإن بدا عليه الشرود بعض الشيء، أمسكتْ المرأة بكفه وقالت لها:

- حُطِّي إيدِك في إيده..

وقرنتْ قولها بالفعل وهي تضع يد الفتاة في يده بجواري، ومالت نحو الأرض لتقبض على حفنة رمل لتضعها بين أكف ثلاثتنا وتقول:

obeikan.com

- هَمُّه كبير.. لكن قلبه متعلق بيكي.. وإنتي عيون الناس حاسداكي.. وبالخصوص عليه.. خليكي جاره وسنده في سكته..

والتفتتْ نحوه وهي تكمل:

- قلبها نضيف وشايلاك جواه.. راعيها.. راحتك وياها.. حاسب عليها وما تجرحهاش.. حاسب م الفُراق وجرحه..

واختفت من أمامهما وهي تجذبني معها بعد أن فَرَّتْ من عينيها دمعة سقطتْ على كفيهما المضمومتين، ومن مكمني السابق رأيتُ الفتاة تنظر نحوه في توترٍ لتجده شاردًا تمامًا ويده التي على كتفها تربتْ عليها كل لحظة لتطمئنها من شيءٍ لا تعلمه، سألته أخيرًا:

- إنت دعيت قلت إيه؟..

ابتسم من بين شروده وأجاب:

- مش هي قالت ما أقولش!..

اعتدلتْ في جلستها لتصبح كما لو كانت تجلس بين يديه وعادت تسأله في توسلٍ طفولي:

- عشان خاطري قولِّي..

سمح لنفسه أخيرًا أن يضمها نحو صدره قليلًا غير عابيء بدهشتها الخجلة وأسند رأسه إلى رأسها وهمس:

- دعيت ربنا يساعدني..

استكانت لضمته لحظة وهي تحاول أن تُدرك بعقلها البريء تلك الأمور التي تقلقه إلى الدرجة التي جعلته يطلب من الله أن يساعده فيها عوضًا عن أن يطلب منه أن يجمعهما سويًا، لكنها رفعتْ رأسها في رعبٍ حين شعرت

بدمعته التي انسالت بين وجنتيهما، بكتْ دون سبب ومسحتْ على خده وسألته:

- مالك يا حبيبي؟..

لم يجبها، وظل سؤالها هذا طوال سنواتٍ تلتْ ذلك اليوم بلا إجابة دائمًا، تسأله"مالك يا حبيبي؟" فلا يشكي لها همًا تراه في عينيه جليًا، تسأله"مالك يا حبيبي؟" فلا يشركها في تفكيرٍ أخذه منها للمجهول، تسأله"مالك يا حبيبي؟" فيجيب أخيرًا في حزن:"احنا مش هاينفع نكمل مع بعض.."

والآن، تجلس هي إلى نفس الطاولة في"سيلنترو كافيه" وتتناول القهوة وإلى جوارها قطعة"شوكولاتة" وحيدة وأنا أجلس في مكمني السري أرْقبها، أخذتْ تستعيد كلمات تلك المرأة وهي تُدرك أخيرًا سبب دمعتها وهي ترحل عنهما في ذلك اليوم، لقد بكتْ المرأة حبهما قبل أن يضيع وحاولتْ أن تبصرهما قدر ما تستطيع بذلك!..

توترتُ حين رفعتْ الفتاة وجهها تنظر إلى الشابين الجالسين إلى الطاولة المقابلة لها، لم تنتبه إلى صاحبتي التي قررتْ أن نترك مكمننا ونقوم بزيارة لطاولة الشابين، تأملتها وهي تتابعهما، كل البدايات تتشابه، النظرات الخجلة والأيادي المتشابكة على استحياء، بدا ذلك في معنى ابتسامتها التي مستْ طرف شفتيها، و....

وعلمتُ أنها رأتنا، بدتْ الصدمة المؤلمة على ملامح وجهها الحزين وهي تُتابع المرأة التي جلستْ على حافة الرصيف بجوار طاولة الشابين وأجلستني معها، أعلم أنها حاولت كثيرًا العثور علينا دون فائدة، كانت المرأة بارعة في الاختفاء ومراقبة الجميع من ذلك المكمن الأزلي، لكن الفتاة كانت تفكر في

obeikan.com

تلك اللحظة أنها ربما قررتْ الاختفاء كي لا تشاهد النهاية معهما، وها هي النهاية حلت دون حيلةٍ من أحد!..

تأملتنا دون أن تنجح نظارتها الداكنة في إخفائها لدموعها، شعرتْ المرأة بها فنظرتْ نحوها للحظةٍ ثم عادت لتنهي حديثها مع الشابين قبل أن تنهض في بطءٍ متوجهةً نحوها، لم تجلس لكنها مالت نحوها تشد على كتفها قائلة:

– إنتي عمرِك ما تعرفي الخير فين.. الخير بس في تدابير ربِك..

تأملتني المرأة قليلًا ثم ابتسمتْ وهي تتركني على الطاولة أمامها وتختفي كعادتها فجأة، لم أغضب لتخليها عني وبقيتْ ساكنةً أتابع نظرات الفتاة إليَّ، أعرف أنني أعجبتها، كنتُ صغيرةً، شاحبة البياض، يزين وجهي خيوطٌ بلون الذهب في عينيه، حملتني لتقترب بشفاهها من أذني"توشوشني" بأمنيات وأشياء من ذكرى!.. .

***

obeikan.com

obeikan.com

بالبندق

obeikan.com

كنتُ أُراجع ما كتبته حين وصلني صوت نقرات خالي الخفيفة على باب الشقة، منذ كنا أطفالًا ونحن نحفظ عادته تلك في طرق الباب، فتحتُ له مبتسمةً وتعلقتُ في رقبته لأقبله وهو يضحك ويناولي حقيبة هدايا صغيرة قائلًا:

– يا بنتي هاتخنقيني!.. مش هاتكبري أبدًا..

توجهنا إلى الشرفة معًا وأنا أجيبه وفضولي ينهشني لمعرفة ما بداخل الحقيبة:

– وأكبر ليه يا خالو يا حبيبي بس.. مش كده أحسن؟..

نظر إليَّ طويلًا وابتسم مديرًا نظراته نحو عدة القهوة التي فوق الطاولة دون أن يجيب، وضعتُ الحقيبة جانبًا وأنا أتطلع إليه في اهتمام، بدا ذهنه مشغولًا بشيءٍ وهو يسألني:

– إنتي لقيتي عدة القهوة دي فين؟.. دورت كتير عليها..

غمزتُ له وأنا أهمس ضاحكةً:

– فوق الدولاب..

جلس وأشعل سيجارة وهو يبتسم في صمتٍ، تطلعتُ إليه لحظة ثم سألته:

– تشرب معايا قهوة؟..

– ياريت..

أعددتُ القهوة وتركتها على السبرتاية وأنا أتأمل شروده الصامت، سحبتُ حقيبة الهدايا الملونة وأنا أسأله:

– جيبتلي إيه؟..

نجح سؤالي في لفت انتباهه فابتسم ابتسامةً واسعةً وهو يقول:

– افتحيها..

فتحتُ الحقيبة لأجد بداخلها هدية محاطة بأوراق"الكوريشة" الحمراء، أخرجتها وأنا أهزها في مرح وأسأله:

– العلبة دي فيها فيل؟..

– هههههههه لا يا لمضة.. جيبتلك الشوكولاتة الچيويلز اللي بتحبيها قبل ما أسافر..

تجاهلتُ حديثه عن سفره وأنا أتحكم في عبراتي والغُصَّة التي منعتني من الإجابة لأتلهى بحل الأوراق الملونة في حرص، تركتُ العُلبة من يدي فور سماعي لصوت فوران القهوة لألحقها دافنةً نظراتي في الفناجين الناصعة، ناولتُ خالي فنجانه ليمسكه مع يديّ ويربت عليها قائلًا:

– مش عايزك تزعلي..

ابتسمتُ وأنا أسحبُ يدي دون رد، عدتُ مرةً أخرى إلى عُلبة"الچيويلز" وحللت أغلفتها أخيرًا وجلستُ أتأمل أبعادها السداسية وغطائها بلون"الكراميل" فقال خالي محاولًا المزاح:

– أمك كانت بتتوحم فيكي على شوكولاتة.. تخيلي بقى لو ما كناش جيبنالها شوكولاتة كان شكلك بقى إزاي..

– مش عارفة يا خالو.. كنت هاطلع محروقة غالبًا..

وضحكتُ – ربما لأهون عليه – ووجدتني أسرح رُغمًا عني في ذلك اليوم الذي ذهبتُ فيه إلى موعد البروڤة لأجد طارق وحده جالسًا على حافة خشبة المسرح يقلب في بعض الأوراق باهتمامٍ جعله لا يشعر بي نهائيًا إلا وأنا أجلس بجواره، صافحني مبتسمًا وهو يفاجئني بقبلةٍ على خدي أرجفتني لدرجة أني ضممتُ ذراعاي

obeikan.com

إلى صدري لأتمالك نفسي، كنتُ أشعر به يتطلع نحوي مبتسمً لكنه فجأة مال برأسه قليلًا ليتطلع إلى عينيّ مباشرة وسأل:

- بتحبيني يا هالة؟..

كدتُ أهتف"بحبك" لكني شعرتُ بالخوف والرهبة كالعادة لذلك آثرتُ الصمت وأنا أتأمل عينيه ففهم هو ولم تختفِ ابتسامته، ربتَ على كتفي في حنانٍ واستدار ليتناول شيئًا بجواره ويناولني إياه، نظرتُ لأجدها حقيبة صغيرة من النايلون ممتلئةً بكل أنواع"الشوكولاتة" التي أفضلها فضحكتُ وأنا أحتضن الحقيبة قائلةً:

- طارق!.. ميرسي قوي قوي..

أخرجتُ إحدى حبات"الشوكولاتة" المستديرة وتذوقتها في استمتاعٍ طفوليّ جعل طارق يتطلع إليَّ ضاحكًا في قوةٍ، لم أكنْ فَرِحَةً"بالشوكولاتة" قدر ما كنتُ فرحةً بأنه هو الذي أحضرها لي ليشاركني الشيء الذي أحبه، أخذتُ أذيب حبة"الشوكولاتة" في فمي وأنا أنظر في عينيه الحنونتين في سعادةٍ، حقًا لم أستطع فك أسر كلماتي لكنَّا في تلك اللحظة لم نكن في حاجةٍ إليها، تناولتُ حبة أخرى لأضعها في فمه هو هذه المرة وأضحك، فتناولها وهي ترسم شفتيه بذوبانها الداكن ليقول وهو يطعمني مثلها:

- إنتي عيلة قوي يا حبيبتي على فكرة..

طرقتْ كلمة حبيبتي باب قلبي ليحلق حرًا هناك نحو عينيه، خبأتُ ما حل بي وأنا أتقاسم معه إحدى قطع"الفلوتس" قائلةً:

- آه جدًا بقى..

أمسك بكلتا يديّ ونظر في عيني مباشرة وهمس:

- معايا أنا بس..

وقَبَّل كفاي لأرتجف مرةً أخرى وأنا أجيبه:

- طارق.. أنا مش حمل جرح..

- ما تخافيش..

احتضنتُ كفيه وعيناي تدمع في سعادةٍ وقلت:

- بحبَك..

و....

رن هاتفي برقم أمي ليستردني من أفكاري، فأجبتها في لهفة:

- ماما.. هانيا ولدت؟..

حسب ما قال الطبيب كان مقررًا لهانيا أن تلد خلال أيام، وكنتُ أدعو الله أن يحدث ذلك قبل نهاية إجازتي لأتمكن من السفر إليها في الإسكندرية، فجاءت كلمات أمي السعيدة تُحقق ما تمنيت:

- الحمد لله.. ولدت من ساعة..

- الحمد لله.. الحمد لله..

تناول خالي الهاتف مني وبارك لأمي وأنهى المكالمة وهو يعدها أن نكون عندهم غدًا في الصباح، والتفتْ إليَّ قائلًا:

- كده هانغرم علبة چيويلز تانية يا ست لولا..

شردتُ وأنا أتذكر حبنا الشديد أنا وهانيا"للشوكولاتة" في طفولتنا، لقد كان أبي- رحمه الله- يستغل ذلك في إثابتنا أو معاقبتنا، فيُغدق علينا منها إذا أحسنَّا ويحرمنا منها إذا ارتكبنا إحدى كوارثنا البريئة، لم تكن السعادة تكلفنا في طفولتنا أكثر من قطعة"شوكولاتة"!..

***

obeikan.com

❖ أخذتْ تتطلع إلى شاشة"التليفزيون" منبهرةً بالحركات البهلوانية لذلك القط الأزرق الضخم، وكلما ظهر ذلك القط الآخر الصغير- برتقالي اللون- تملكتها حالة من الضحك تدمع معها عيناها لخبثه الشديد وقدرته على الفرار دائمًا من القط الضخم، التفتتْ إلى أمها- التي تراها من مكانها وهي تعد الطعام في المطبخ لتسألها:

- ماما.. هو في قطة زرقا؟!..

تضحك أمها ضحكةً صافيةً لبراءتها وتجيب:

- هو بجد يعنى ما فيش.. لكن في أفلام الكرتون ممكن.. .

- اسمه توم يا ماما.. .

انتبهتْ لذلك الكائن البرتقالي الشقيّ وهو يجذب مفرشًا ضخمًا من فوق الطاولة — التي كان"توم" يقف أسفلها— لتسقط فوق رأسه المكواة الكهربية التي كانت فوقها، ضحكتْ في قوة وهي

تسأل أمها مرةً أخرى:

- ماما.. هي ليه القطة البرتقالي دي صغيورة كده؟!.. .

- دي مش قطة يا أميرة.. ده فار..

صمتتْ الطفلة وهي تحاول استرجاع مخزون الصور لديها لينطبق أحدها على لفظ"فار" لكنها لم تجد، فذهبتْ لتقف إلى جوار أمها في المطبخ وهي تسألها في حيرةٍ:

- يعني إيه فار يا ماما؟!..

صمتتْ الأم لحظة مفكرةً، لم يكن الفأر بالطبع من الحيوانات التي شاهدتها الطفلة في الحقيقة لتدرك أن ذا هو ذاك، أخيرًا خطرت لها الإجابة:

obeikan.com

- فاكرة الحدوتة اللى حكيتها لك عن الأسد اللي وقع في شبكة الصياد؟..

- آآآآآآآه.. لما كان الصياد هياخده من عند بيته في الغابة..

- أيوة.. أهو بقى الفار هو اللي قرض الشبكة بسنانه لحد ما قطعها وخرج الأسد..

ضحكتْ أميرة وهي تصفق بيديها وتقول:

- عرفته.. عرفته.. بس في الحدوتة كان لونه رمادي..

وجرتْ نحو غرفة نومها لتفتش بين كتب الحكايات- التي تقرأها لها أمها- في حذرٍ كي لا توقظ شقيقتها الصغرى، بعد لحظاتٍ من البحث أخرجت كتابًا بعينه، لتريه لأمها، لكنها ما أن وصلتْ

إلى باب الغرفة حتى سمعتْ بُكاء الصغيرة يعلن استيقاظها، نظرتْ لها في رعبٍ خوفًا من أن تظن أمها أنها هي من أيقظتها، فتوجهتْ نحوها وربتتْ على كتفها قائلةً:

- هششش.. نامي يا روني.. أنا هاخرج أهوه..

دخلت أمها في هذه اللحظة لتسأل:

- هي رانيا صحيت؟..

- بس مش أنا اللي صحيتها..

أجابتها أمها وهي تحمل رانيا الرضيعة لتهدهدها:

- هي كان لازم تصحى عشان تفطر بقى..

فأجابتها الرضيعة بضحكاتٍ متقطعةٍ وكأنما فهمتْ ما تقصد، بينما فتحتْ أميرة الكتاب أمام وجه أمها وسألت:

- مش هو ده الفار يا ماما؟..

ألقتْ الأم نظرةً سريعةً على الكتاب وهي تُبدل ملابس الطفلة وأجابتها:
– أيوة هو ده.. براڤو عليكي.. يللا روحي بقي اتفرجي على الكرتون لحد ما أجيب رانيا تقعد معاكي..
خرجتْ أميرة راكضةً إلى غرفة الجلوس لتكتشف أنها لم تمس طعامها بعد، فشهقتْ هامسةً لنفسها وهي تتطلع نحو بقاياي:
– يااااه.. كده بابا مش هايجيبلي واحدة تانية!..
ثم مدتْ يدها لتحشر ال"ساندويتش" داخل فمها دفعةً واحدةً وتمضغه في صعوبةٍ، وما كادت تبتلعه حتى خرجتْ أمها حاملةً رانيا والبسمة بادية على وجهها وهي تُتهته باسم أختها:
– مِيَة.. مِيَة..
نهضتْ أميرة تُريد حمْل أختها لكن الأم بادرتها وهي تُجلِ سها بجوارها:
– لأ.. تقع منك.. أهي قاعدة جنبك لحد ما أجيب لها أكلها.. خلي بالك منها ولاعبيها..
– طيب..
أدارت رأسها نحو شاشة"التلفزيون" لتشاهد حلقةً جديدةً بدأت للتو من حلقات"توم وچيري" فأخذتْ تُهلل مصفقةً وهي تُحادث رانيا:
– روني.. بصي.. واحدة كمان..
ضحكتْ حين صفقتْ رانيا بدورها في سعادةٍ، تناولتني لتنزع عني ما تبقى من ثوبي الفضي ولثمتْ أحد أطرافي وهي تتذكر ذلك الحديث الذي دار بينها وبين أبويها حول الأخت أو الأخ القادم في الطريق، وقتها كانت بطن أمها مستديرة الشكل وكبيرة، وقالت لها إنها تمتلك"نونو" فسألتها:

- يعني إيه نونو؟!.. .

- يعني أخ أو أخت ليكي..

- ألعب بيه؟..

ضحكتْ"ماما":

- لأ.. تلعبي معاه..

وسألها"بابا":

- هاتسميه إيه يا مرمر؟..

- هو النونو ولد ولا بنت؟..

- لو ولد يبقى اسمه إيه؟.. ولو بنت يبقى اسمها إيه؟..

وفكرتْ، ولد يعني مثل"بابا"، وبنت يعني مثلها هي و"ماما"، فأجابت:

- لو ولد يبقى أحمد..

فرح الأب لاختيار ابنته اسم والده الراحل، بينما أخذتْ هي تدور حول نفسها لحظة ثم فجأة أخذتْ تغني:

- رانيا حبيبتي يا أجمل رانيا.. كل ما أشوفك بنسى الدنيا.. لا لا..

فردد"بابا" الاسم:

- رانيا!..

- آه.. زي الأغنية..

وابتسمتْ"ماما" قائلةً:

- حلو رانيا والله..

وقد كان!..

***

أخذتْ تغني لأختها نفس الأغنية التي تحبها – وهما جالستين على"السُفرة" ورانيا تردد خلفها الغنوة بهمهماتٍ طفوليةٍ، خرجتْ لحظتها الأم من المطبخ مبتسمةً وهي تضع الطعام فتوقفتْ أميرة عن اللعب مع أختها وسألتْ وهي ترنو نحو ثوبي الفضي الذي لم يتبقَ منه الكثير:

– بابا هايجيبلي شوكولاتة؟!..

– هايجيب.. بس إنتي مش هتاكليها إلا لو كلتي طبقك كله على الغدا..

– طيب..

قررتْ أميرة فجأة إحضار الكرة الوردية لتُلاعب رانيا بها، عادت بعد لحظةٍ وأخذت"تنطّقها" أمامها مستمتعةً بضحكاتها التي ملأت وجهها المستدير ذو البشرة الوردية، مرت لحظات وهي

تلاعبها وتغني لها لكنها توقفتْ فجأة لتندفع نحو باب الشقة إثر سماعها لصوت المفتاح يُدار بداخل قفله، تلك كانت علامة وصول"بابا" فأخذتْ تهتف:

– بابا جه.. بابا جه..

تبعتها رانيا مقلدةً هتافها بهمهماتٍ غير مفهومة، فاحتضنهما"بابا"معًا وقبَّل كلتاهما وهو يسألها:

– عملتي شقاوة النهاردة ولا سمعتي الكلام؟..

فهمتْ سبب سؤاله فأجابته فخورةً بنفسها:

– لأ مش عملت شقاوة يا بابا.. وأخدت بالي من روني.. ولاعبتها بالكورة كمان..

– شطورة يا مرمر..

obeikan.com

- طب فين الشوكولاتة بقى؟..

حضرتْ زوجته ليقبلها هي الأخرى على رأسها ويضع رانيا بين يديها متجهًا نحو "السُفرة" وهو يخرج من جيبه إحدى شقيقاتي - ذات الثوب الجديد تمامًا- ويقول:

- أهي.. بس بعد الغدا..

أشاحتْ أميرة بيدها محتجةً:

- يوووووه.. لسة الغدا كمان..

فتجهم أبوها محذرًا:

- أميرة!..

- آسفة..

ربتْ أبوها على شعرها مبتسمًا:

- شاطرة.. يللا.. قولي: بسم الله الرحمن الرحيم..

- بسم الله الرحمن الرحيم..

***

جلستْ أميرة على فراشها ترسم بينما جلستْ أمها على الفراش الآخر تُرضع رانيا، لحظات ودخل الأب ليتأملهنَّ بابتسامةٍ هادئةٍ، تركتْ أميرة ما بيديها حين رأته وهتفتْ:

- فين الشوكولاتة؟..

رأيتُ أباها يتناول إحدى شقيقاتي ليضعها بين يديها فقفزتْ من مكانها تقبله، ثم نزعتْ جزءًا من ثوبها الفضي لتسويه وتشكله على هيئة زهرة صغيرة تمامًا كما فعلت بثوبي منذ قليل، سألتْ أمها في استمتاع:

- ينفع أدي روني حتة يا ماما؟..

- حتة صغنونة..

مسح أباها على رأسها سعيدًا بها وقال:

- مالكوش غير بعض يا مرمر..

كانت فرحةً باقتسام كل ما تحب مع أختها، كانت تعاملها بفطرتها البريئة التي حوت شعورًا غريزيًا بالأمومة جعلها تربتْ على وجنة الرضيعة وهي تميل نحوها وتطعمها إحدى القطع الداكنة وتقول:

- كُلي يا روني.. دي حلوة قوي وفيها بندقة..

***

obeikan.com

أنا هويت

obeikan.com

"هانشرب معاكي القهوة في"التِراس" النهاردة يا لولا" قالتها أمي وهي تُشير إلى زوجة خالي التي جلستْ بجوارها في شرودٍ تَحيكُ شيئًا على إبر"التريكو"، فهمتُ أنها تريد التسرية عنها قليلًا فأجبتْ:

– بس كده.. من عينتيني التنتين يا مُزز.. هاخلص بس كام تليفون وأجيلكم على"التِراس"..

نهضتْ أمي وهي تُشير إلى زوجة خالي قائلةً في تهكمٍ:

– يلا بينا إحنا يا سامية نطلع"التِراس" ونعمل قهوتنا عشان على ما هالة تخلص تليفوناتها نكون بقينا نص الليل..

ضحكتْ وأنا أتناول هاتفي وأجيبها :

– لا والله مش هتأخر عليكم..

ربتتْ زوجة خالي على كتفي وابتسمت قائلةً:

– ربنا يفرح قلبك يا حبيبتي..

تابعتهما وهما تخرجان إلى الشرفة وتناولتُ هاتفي لأتصل بطارق..

"طب والله كنت لسه هاكلمك.. وحشاني" قالها وهو يجيبني فورًا فابتسمتُ وأنا أستمع لصوت أنفاسه في صمتٍ، وسألته بعد لحظةٍ لم يحاول مقاطعتي فيها:

– إنت أكتر.. عامل إيه؟..

– أنا عارف إني مقصر معاكي بس أنا طلعان عيني في البروفات والله يا لولا..

كنت أفتقده جدًا، فهو يقتطع من وقته جزءًا كبيرًا للاهتمام بمفردات حياته الأخرى، وكنت حين أشعر بالضيق أخبر نفسي أن هذا أمر طبيعي وأن عليّ تفهُم تباين الاهتمامات فيما بيننا، لذلك أجبته بصوتٍ مُحايد:

– ولا يهمك يا حبيبي..

obeikan.com

- هتعملي إيه دلوقتي؟..

ترددتْ في ذهني عبارة أمي"هانشرب معاكي القهوة في"التراِس"..

" فابتسمتُ وأجبته بعد أن سطعتْ فكرة في رأسي:

- هاشتغل في حاجة جديدة..

- إعملي كده.. إنتي مكسلة بقالك فترة من وقت ما خلصتي المسرحية..

- إتفقنا..

كان عليّ الاعتراف أنني تكاسلتُ كثيرًا في الفترة الأخيرة فقط لكي تُتاح لي فرصةً أكبر لأكون بالقرب منه، ولأن كلمات طارق شجعتني ألا أبقى"مِكسلة" فقد نهضتُ للبحث بين أوراقي عن عمل كان مجرد مخطوط لم يدخل حيز التنفيذ بعد، تناولتُ هاتفي مرةً أخرى واتصلت بعلاء - صديقي المخرج والسيناريست- الذي نجح أخيرًا كممثلٍ بعد سنواتٍ قضاها في كتابة وإخراج الأفلام القصيرة، ولكن بقى عشقه الحقيقيّ للوقوف أمام"الكاميرا" وليس خلفها، ورغم ذلك تحمس للإخراج مجددًا حين قرأ إحدى قصصي بالمصادفة وطلب مني كتابة"السيناريو" لها، لكن مع قيام الثورة أُرجأتْ كل المشاريع لأجلٍ غير معلوم. ذهبتُ للجلوس مع أمي وزوجة خالي في الشرفة وبدأتُ في إعداد القهوة وأنا أبادره حين أجاب الاتصال:

- صديقي المشغول دائمًا وأبدًا.. كيفك إنت؟..

- غصب عني والله يا لولا.. أنا بخير.. إنتي إيه أخبار إبداعاتك؟..

- هو ده ذات نفس الموضوع اللي بتصل بيك عشانه.. تصور!..

صببتُ القهوة لأمي وزوجة خالي التي وجدتها تنهض لتضع ما تحيكه على كتفي في سعادةٍ لأفهم أنها كانت تصنعه لي، عادت إلى مقعدها مرةً أخرى لتستكمله وعلاء يقول في حماسه المعهود:

- سامعِك جدًا.. قولي..

- فاكر"أنا هويت"؟..

- طبعًا..

- شوف يا سيدي..

***

obeikan.com

مشهد 1 **غروب/ نهار خارجي**

البهو المفتوح بداخل الرَبع – شارِع المعز

لقطة مقربة للحقيبة التي ترتديها ريم على شكل حرف "X " وهي تدخل إلى الممر المؤدي إلى بهو الربع، يتسع "الكادر'' تدريجيًا لنرى لقطة عامة للمكان.. بهو مستطيل الشكل بلا سقف على الطراز الإسلامي.. إضاءته خافتة متدرجة بين ألوان الأزرق والأخضر والأصفر والأبيض.. تنتشر في أركان البهو وعلى جانبي الممر المؤدي إليه طاولات نحاسية مستديرة من حولها عدة وسائد ضخمة للجلوس.. في الضلع المقابل لباب الدخول غرفة صغيرة عليها لافتة "البوفيه".. في الممر الأيسر– المقابل للممر الذي دخلت منه ريم – يجلس على الطاولة الوسطى شاب يحمل عودًا ويضبط أوتاره، ويلتف من حوله مجموعة من الشباب والشابات، بينما تناثر بعض الزبائن على باقي الطاولات المتباعدة في الممر وأسفلها في البهو نفسه..

- صوت ضبط نغمات العود..

يتسع "الكادر'' أكثر لنرى ريم (**27 سنة– ممتلئة القوام– خمرية البشرة**) تقف وهي تنظر حولها بحثًا عن طاولة تجلس عليها.. تتأمل الشاب صاحب العود ورفاقه للحظة وهي تبتسم ثم تتجه للجلوس على الطاولة التي في الممر الأيمن الذي تقف فيه؛ لتكون طاولة الشباب أمامها بزاوية ميل إلى اليسار، ويكون "البوفيه" إلى يمينها.. نرى من حولها عدة طاولات، الأولى أقصى يسارها في الممر المقابل لغرفة "البوفيه" من الجهة الأخرى، يجلس عليها رجل أربعيني؛ يرتدي نظارة قراءة ذات عدسات رقيقة

obeikan.com

ويحمل بين يديه "كاميرا" احترافية وتتدلى من بين شفتيه "سيجارة" وهو يلتقط عدة صور متلاحقة للمكان، يبتسم لها حين تنظر نحوه لكنها لا تلاحظه..

- صوت لقطات "الكاميرا"..

الطاولة الثانية بين طاولتي الشباب والرجل الأربعيني ولكن بالأسفل في البهو نفسه، تجلس عليها سيدة في نهاية الأربعينيات ومعها فتاة مراهقة تبدو ابنتها منهمكة في التقاط صور "سيلفي" لنفسها من كل الزوايا، تنظر نحو ريم بلا مبالاة ثم تعود لتهتم بصورها من جديد..

- صوت لقطات "كاميرا" هاتفها المحمول..

الطاولة الثالثة مقابلة لطاولة ريم في البهو أسفل ممر غرفة "البوفيه"، يجلس عليها شاب منهمك في متابعة شيءٍ ما على"اللاب توب" الذي أمامه..

- صوت نقرات الشاب على"كيبورد اللاب توب" مختلطًا بـ (صوت من خارج "الكادر" Off screen) بعض الجمل الموسيقية من لحن "أنا هويت"..

يقترب من ريم "الجرسون"- الذي كان يجلس على مقعد خارج "البوفيه".. يخرج دفتر وقلم من جيبه ويميل نحوها بابتسامة في انتظار طلبها.. تملي عليه طلبها ليسجله ويهز رأسه بابتسامة أخرى وينسحب من أمامها..

- (صوت من خارج "الكادر" Off screen) بعض الجمل الموسيقية من لحن "أنا هويت"..

لقطة مقربة لوجه "الجرسون" وهو يعطيها ظهره وتبدو عليه تعبيرات غير مفهومة، ثم يختفي خارج "الكادر" (**من تلك الزاوية عند"البوفيه" نرى الجزء الذي تجلس فيه ريم فقط بسبب العمود الذي يخفي المكان بجوارها، وستبقى الطاولة مختفية جزئيًا طوال الأحداث ومن كافة الزوايا؛ لا يظهر منها سوى مكان ريم**) يضيق "الكادر“ بالتدريج لنرى لوجه ريم وهي تشعل "سيجارة" وتبدو من حركة يدها كأنها تناولها لأحد..

- صوت "الولاعة" وصوت زفرتها للدخان..

قطع Cut

obeikan.com

مشهد 2 **غروب/ نهار داخلي**

داخل"البوفيه"

لقطة مقربة لغلاية الماء متوسطة الحجم ويد "الجرسون" تدير صنبورها الأحمر ليملأ كوبًا بلاستيكيًا بالماء المغلي، يتسع "الكادر" لنرى الغلاية موضوعة فوق رَفّ رخامي متسطيل؛ اصطفت عليه علب "الكوفي ميكس" وأكياس السكر الأبيض والبني والأكواب والملاعق البلاستيكية ومسنود على الجدار بعض الصواني المعدنية.. إلى يمين الرف الرخامي حوض صغير؛ تقابله في الجهة الأخرى ثلاجة متوسطة الحجم رُصَّت بداخلها زجاجات المياة المعدنية وعلب العصائر و"الكانزات".. يدخل "الجرسون" الذي أخذ الطلب من ريم بنفس ملامحه غير المفهومة، يقف شاردًا للحظة حتى يشيح له زميله بيده:

- "الجرسون" الثاني:

ايه يا ابني!..

- "الجرسون" الاول:

اتنين نسكافيه..

يستدير "الجرسون" الأول ليخرج ويقف أمام باب"البوفيه" بينما يسحب "الجرسون" الثاني صينية يضع بها كوبين فارغين وزجاجة مياة صغيرة ويبدأ في إعداد الطلب..

قطع Cut

obeikan.com

مشهد 3 **ليل خارجي**

بهو الرَبع

لقطة مقربة "للجرسون" الأول وهو يهبط نحو طاولة ريم حاملًا طلباتها، يتسع "الكادر" لنرى لقطة متوسطة "للجرسون" الأول وهو يضع الطلبات على الطاولة. نرى "سيجارة" على طرف المطفأة بينما تدخن ريم"سيجارة" أخرى.. ينسحب "الجرسون" بينما تشكره ريم بهزة من رأسها ليتجه نحو "البوفيه" ويناول زميله الصينية من على الباب دون أن يدخل، يسحب المقعد ويجلس خارج "البوفيه" مرة أخرى.. لقطة متوسطة لريم وهي تضع السكر في كوبها، بينما يبدأ الشاب صاحب العود في عزف مقدمة "أنا هويت":

- (صوت من خارج "الكادر" Off screen) المقدمة الموسيقية "أنا هويت"..

لقطة متوسطة للرجل الأربعيني وهو يرفع نظارته ويثبتها على رأسه ويتناول آخر أنفاس"سيجارته" ثم يطفئها:

- (صوت من خارج "الكادر" Off screen) غناء "أنا هويت"(**التي ستستمر معنا في خلفية المشاهد القادمة**)

لقطة متوسطة للسيدة الأربعينية وابنتها التي تثبت سماعات "الهاند- فري" في أذنيها في ضجر - هربًا من صوت الغناء- بينما تبتسم أمها في شرود:

- (صوت من خارج "الكادر" Off screen) للغناء..

لقطة متوسطة للشاب صاحب "اللاب – توب"وهو ما زال منهمكًا في عمله؛ بينما يجلس خلفه "الجرسون" الأول أمام "البوفيه" يتأمل ريم:

- (صوت من خارج "الكادر" Off screen) للغناء..

يتسع "الكادر" بسرعة لنرى لقطة موسعة للمكان كله، ثم يضيق بسرعة على وجه "الجرسون" الأول:

- (صوت من خارج "الكادر" Off screen) – ابتعاد تدريجي Fade out)..

قطع تدريجي Dissolve

opeilkan.com

مشهد 4

(عودة للماضي Flash back)

(لقطات متعددة/ بالحركة السريعة Photo montage/ fast motion)

4/أ تجلس ريم مع عمر (**32 سنة.. طويل وأسمر**) على إحدى الطاولات في البهو وتبدو على ملامحهما السعادة..

4/ب تجلس ريم على إحدى الطاولات وحدها شاردة.. لحظات ويدخل عمر مسرعًا؛ باحثًا عنها بعينيه، يتجه نحوها حين يعثر عليها ويجلس بجوارها ممسكًا بيديها ويبدو على ملامحه الاعتذار..

4/ج تجلس ريم على إحدى الطاولات وحيدةً، تشير إلى "الجرسون" الأول ليحضر الشيك.. بعد قليلٍ يأتي "الجرسون" ليحاسبها فتبتسم له ابتسامة مجاملة وتحاسبه وترحل، بينما يظل "الجرسون" واقفًا يتابعها..

- (صوت على الصورة Voice over)- بعيد نسبيًا- جمل موسيقية من لحن "أنا هويت" بدون غناء..

قطع Cut

obeikan.com

مشهد 5 **ليل خارجي**

بهو الرَبع

لقطة مقربة لعيني ريم الدامعة وهي لا تزال تجلس وتستمع إلى الغناء..

- (صوت من خارج "الكادر" Off screen) للغناء..
- (صوت نسائي من خارج "الكادر" Off screen):

جرسون..

يتسع "الكادر" تدريجيًا لنرى لقطة واسعة للمكان ككل، ثم يضيق "الكادر" في لقطة متوسطة مع تحرك "الجرسون" الأول نحو طاولة السيدة وابنتها؛ ويظهر إلى يمينها طاولة الشاب الذي لا زال يغني.. يقف"الجرسون" الأول يسجل ما تطلبه الأم بينما تتطلع الفتاة نحو طاولة ريم في استغراب.. تنتبه الأم لذلك فتجذب ابنتها من ذراعها في حدة.. ينصرف "الجرسون" وتعود الفتاة للانشغال بهاتفها بينما تختلس الأم النظر نحو ريم التي نراها تتنهد في شرود..

- غناء "أنا هويت"..

قطع تدريجي Dissolve

obeikan.com

مشهد 6 **عصر/نهار خارجي**

بهو الرَبع (عودة للماضي Flash back)

تجلس الأم مع ابنتها وزوجها على إحدى طاولات "الكافيه" يتبادلون المزاح والضحكات.. بعد لحظة تلاحظ ريم وعمر وهما يضحكان في سعادة (**يرتديان الملابس في مشهد 4**/أ).. بينما يقف "الجرسون" الأول بجوارهما ليضع الطلبات على الطاولة.. تميل نحو زوجها وهي تشير نحوهما بشكل خفي وتبتسم فيربت على كفها في حنان..

- (صوت على الصورة Voice over) - بعيد نسبيًا- جمل موسيقية من لحن"أنا هويت" بدون غناء..

قطع Cut

obeikan.com

مشهد 7 **ليل خارجي**

بهو الرَبع

لقطة متوسطة لطاولة المصور وهو يضبط عدسة "الكاميرا" بينما يضع أمامه "الجرسون" الأول قهوة تركية في كوب زجاجي صغير.. يتسع "الكادر" لنرى البهو بالكامل من الزاوية التي يجلس فيها المصور.. ينظر الرجل في العدسة للحظة ثم يرفعها عن عينه ويتأمل ريم التي يبدو عليها الشرود وتتطلع بين لحظة وأخرى نحو الشاب الذي يغني.. يضيق "الكادر" لنرى طاولة ريم من خلال عدسة "الكاميرا" الخاصة بالرجل وهو يعدل وضعيتها على zoom in ليقترب منها أكثر وهو ينقل بصره بين عدسة "الكاميرا" وبين الطاولة في اهتمام..

- غناء "أنا هويت"..

قطع تدريجي Dissolve

obeikan.com

مشهد 8 **ليل خارجي**

بهو الرَبع (عودة للماضي Flash back)

يجلس المصور على إحدى الطاولات وهو يقرأ في رواية؛ لينتبه بعد لحظة إلى ريم التي تجلس على طاولة مجاورة له وتبدو شاردة (**ترتدي الملابس في مشهد 4/ب**).. يضع الكتاب من يده ويرفع نظارته فوق رأسه وهو لا يحول نظره عنها بينما يتناول "الكاميرا" ويضبط عدستها ويرفعها أمام وجهه ليقوم بتصوير ريم، لكن قبل أن يضغط زر الالتقاط يدخل عمر مسرعًا؛ باحثًا عنها بعينيه، يتجه نحوها حين يعثر عليها ويجلس بجوارها ممسكًا بيديها ويبدو على ملامحه الاعتذار.. يبتسم الرجل ويعاود رفع "الكاميرا" ليلتقط لهما صورة سويًا..

- (صوت على الصورة Voice over) - بعيد نسبيًا-
جمل موسيقية من لحن "أنا هويت" بدون غناء..

قطع Cut

Obeikan.com

مشهد 9 **ليل خارجي**

بهو الرَبع

لقطة متوسطة لطاولة الشاب صاحب "اللاب – توب" الذي نراه يجلس منهمكًا فيما يعمل بينما تقترب من خلفه فتاة عشرينية في هدوء لتضع يدها على عينيها ضاحكة.. يرفع رأسه نحوها ويضحك بدوره فيلمح ريم الجالسة على الطاولة القريبة منه وهي تتابع غناء الشاب بكل حواسها فلم تنتبه لظراته رغم قرب طاولتيهما.. تستدير الفتاة لتهبط درجتي السلم وتجلس معه على طاولته بينما يدير هو رأسه باحثًا عن "الجرسون" فيجده جالسًا خلفه أمام "البوفيه".. يشير إليه فيتقدم نحوهما ويخرج دفتره والفتاة تمليه طلبها بينما شرد الشاب متأملًا ريم أكثر..

- غناء "أنا هويت"..

قطع تدريجي Dissolve

obeikan.com

مشهد 10 **ليل خارجي**

بهو الرَبع (عودة للماضي Flash back)

يجلس الشاب على إحدى الطاولات منهمكًا في متابعة شاشة "اللاب – توب" كعادته.. يرفع رأسه بعد لحظة وهو يحركها يمينًا ويسارًا في إرهاق.. ينتبه إلى "الجرسون" الأول وهو يمر من أمامه ويقف بجوار طاولة ريم ليحاسبها فتبتسم له ابتسامة مجاملة وتحاسبه وترحل.. بينما يظل"الجرسون" واقفًا يتابعها..(**ترتدي الملابس في مشهد 4/ج**)..

- (صوت على الصورة Voice over) – (اقتراب تدريجي Fade in) للغناء:

أنا وحبيبي في الغرام

مفيش كده ولا في المنام

مفيش كده..

قطع تدريجي Dissolve

obeikan.com

مشهد 11 **ليل خارجي**

بهو الرَبع

لقطة متوسطة لطاولة الشاب صاحب العود وأصدقاؤه..

- الشاب يغني:

الشاب: أحبه.. أحبه

أصدقاؤه: حتى في الخصام

ننتقل إلى لقطة متوسطة لطاولة ريم فلا نرى منها سوى الطاولة ويد "الجرسون" الأول الممسكة بدفتر الطلبات، ويد ريم التي تشتعل بين أصابعها "سيجارة"، ويد عمر الذي يتناول الدفتر من "الجرسون"ويحاسبه..

- (من خارج "الكادر" Off screen) صوت الغناء خافت قليلًا مختلطًا بصوت حوار بين"الجرسون" وعمر:

الشاب يغني: بحبه حتى في الخصام وبعده عني يا ناس حرام

"الجرسون": الحساب يا فندم

عمر (يعد لحظة): اتفضل..

يتسع "الكادر" لنرى أخيرًا الطاولة بالكامل.. ريم وعمر يقفان من حول الطاولة يتبادلان الابتسام المتحفز؛ بينما تلملم ريم أشياءها وتغلق حقيبتها ثم ترتديها كما

obeikan.com

كانت على شكل "X"؛ ثم تلقي بكفها في يد عمر فيجذبها ضاحكًا ويخرجان من "الكادر" بينما وقف "الجرسون" يتأملهما.. لقطة متوسطة لطاولة السيدة وزوجها وهو يتابع ريم وعمر ويميل نحو زوجته..

- (من خارج "الكادر" Off screen) صوت الغناء خافت قليلًا مختلطًا بحوار الرجل وزوجته الهامس:

الرجل: قلبها إسود قوي..

السيدة (ضاحكة): يستاهل..

لقطة موسعة للبهو بطاولاته لنرى عمر وريم سائران خارج الباب متشابكي الأيدي..

- (صوت من خارج "الكادر"Off screen) لضحكاتهما مختلطة بالغناء:

الشاب: أحبه.. أحبه

أصدقاؤه: حتى في الخصام

قطع تدريجي Dissolve

obeikan.com

مشهد 12 **ليل خارجي**

الدرب الأصفر

12/أ تسير ريم مع عمر في خطوات أشبه بالجري حينًا؛ والمشي البطيء حينًا آخر.. يضحكان بصوتٍ مرتفع؛ ويكتمان ضحكهما إذا مر بهما بعض المارة..

- (صوت على الصورة Voice over) لجمل موسيقية من لحن "أنا هويت" مقطع: بحبه حتى في الخصام (**ستبقى في خلفية كل المشاهد التالية إضافة إلى أصوات المشهد**)

قطع متبادل Intercut

شارع المُعِزّ بالقرب من مسجد الأقمر – (عودة للماضي Flash back)

12/ب تسير ريم مع عمر في شارع المعز (**وهما يرتديان نفس الملابس في مشهد 4/أ**) وهو يحيط كتفها بذراعه بينما تمسك هي في إحدى يديها غزل البنات..
يجذبها عمر في رفق ويوقفها أمام مسجد الأقمر ليلتقط لها بعض الصور بهاتفه المحمول ثم يقف بجوارها ليلتقط لهما معًا صورة "سيلفي".. يضحكان وهما يقلبان في الهاتف لحظة ثم يعود عمر ليحيط بكتفها وهما يدخلان إلى الدرب الأصفر- الحارة الضيقة إلى يمين مسجد الأقمر.

obeikan.com

- صوت الشارع وضحكات ريم وعمر ولقطات "الكاميرا"..

قطع متبادل Intercut

الدرب الأصفر

12/ج ريم وعمر يسيران ضاحكين بخطى سريعة أحيانًا وبطيئة أحيانًا أخرى..

- صوت خطواتهما وضحكهما..

قطع متبادل Intercut

شارع المُعِزّ بالقرب من مسجد الأقمر – (عودة للماضي Flash back)

12/د تسير ريم وحيدة في شارع المعز (**ترتدي نفس الملابس في مشهد 4/ب**) وتحمل في يدها غزل البنات.. تقف بجوار مسجد الأقمر تتطلع للمكان من حولها وهي تنظر في ساعتها وتتلفت خلفها كل لحظة.. تجلس على أحد المقاعد الحجرية التي أمام المسجد؛ بجوار طفلة صغيرة تداعب أخيها الرضيع النائم في عربة أطفال وبجوارهما أمهما.. تبتسم ريم وهي تتأمل الطفلة التي تبتسم لها بدورها.. تنهض بعد

obeikan.com

لحظات لتداعب الطفلة وهي تعطيها غزل البنات؛ ثم تمسح على شعرها وتذهب.. تسير متجهةً نحو الدرب الأصفر..

- صوت الشارع وضحكات الطفلة..

قطع متبادل Intercut

الدرب الأصفر

12/هـ ريم وعمر يسيران ضاحكين بخطى سريعة أحيانًا وبطيئة أحيانًا أخرى..

- صوت خطواتهما وضحكهما..

قطع متبادل Intercut

شارع المُعِزّ بالقرب من مسجد الأقمر – (عودة للماضي Flash back)

12/و تخرج ريم من حارة الدرب الأصفر وحيدة (**ترتدي ملابس مشهد 4/ج**) تسير ببطء بجوار المسجد.. يتسع "الكادر" لتختفي بين المارة تدريجيًا..

obeikan.com

- ضوضاء الشارع..

قطع متبادل Intercut

الدرب الأصفر

12/ز ريم وعمر يسيران ضاحكين بخطى سريعة أحيانًا وبطيئة في أحيانٍ أخرى.. تنظر ريم له نظرة لوم مبتسمة وتضربه في كتفه..

- عمر (ضاحكًا): آآه

قطع متبادل Intercut

بهو الرَبع – (عودة للماضي Flash back)

12/ ح تجلس ريم على طاولتها (ترتدي نفس الملابس في مشهد1) لقطة متوسطة لها وهي تشعل"سيجارة" وتلمح عمر آتيًا من خلفها ليجلس في تردد بجوارها؛ فتناوله"السيجارة" بنظرة لوم..

- صوت"الولاعة" وصوت زفرتها للدخان..

obeikan.com

Title (لوحة سوداء)

(صوت على الصورة Voice over)

- عمر: وحشتيني

ريم: فعلًا!

عمر: فعلًا

ريم (بدلال): مخاصماك..

- (اقتراب تدر يجي Fade in) للغناء:

بحبه حتى في الخصام وبعده عني يا ناس حرام

النهاية final

***

obeikan.com

أنفاسها الأخيرة

obeikan.com

"الـ.. أفيش مش صورة.. الأفيش كبسولة.. فيها.. فيها خلاصة النَص.. لازم أول ما الناس تشوفه تقدر تميز نقط التلاقي وال.. نفور بين الشخصيات.. تقدر.. تقدر تعرف مين الخير ومين الشر.. إنتي فاهماني؟!"

ترددتْ كلمات يحيى في ذهني وأنا أراقب ما يدور على خشبة المسرح في اهتمامٍ، كانت تلك هي المرة الأولى التي أشاهد فيها الممثلين بملابس العمل استعدادًا لالتقاط صور "الأفيش"، جلستُ في الصفوف الأمامية أتابعه وهو يقوم بإعداد"كاميراته" ويتفاهم مع الممثلين حول الأوضاع التي يجب عليهم اتخاذها ليتمكن من تنفيذ أفكاره التي اتفقنا عليها بعد جلسةٍ جمعتنا أنا وهو وطارق. بعد عدة ساعات تفرق الجميع لأخذ استراحة وبقى يحيى في ركنٍ على خشبة المسرح منهمكًا في ترتيب أدواته، بين لحظةٍ وأخرى كان يسحب علبة سجائره ليفتحها ويُخرج منها سيجارة بدتْ الأخيرة، وحين يتذكر ذلك يعيدها مرةً أخرى وهو يزفر في ضيقٍ، وبدون شعورٍ وجدتني أخُط تلك الأسطر دون أن أتوقف عن مراقبته:

❖ "حاول أن يتجاهلني رغم أنني كنتُ ألاحقه بنظراتي، كل فينةٍ وأخرى يُلقي نحوي نظرةً سريعةً فيجدني أتطلع إليه في رغبةٍ واضحةٍ دون ملل، يمضي بعيدًا بعينيه عن نظراتي كطفلٍ صغيرٍ
يتلهى بلُعبة الإخفاء رغم أنها تُوجع قلبه، شعر بنظراتي وهي تخترق صدره للبحث عما يُخفيه، تلاحقتْ أنفاسه متصورًا نفسه وهو يلثم شفتيّ منتزعًا الأنفاس من داخلي في قوةٍ، إنه يرغبني
أكثر مما أفعل أنا لكنه يعرف جيدًا أنه إن استسلم لرغبته تلك ما هي إلا لحظاتٍ وأرحل من بين يديه إلى الأبد، لا أدري لماذا يُقلقه هذا ومن اليسير عليه أن يُحضر العشرات ممن هنّ على شاكلتي تمامًا، بل على

العكس إن وجودي هنا يمنعه من إحضار الأخريات، لماذا لا يُنهي الأمر إذًا ويستمتع بما أمنحه له الآن مطفئًا رغبته فيَّ ليسمح لنفسه بعدها أن يُحضر من يشاء منهنَّ؟!.. امتدتْ يده نحوي أخيرًا وهو يُحيطني في رفق، ترك شفتيه تتلمس الطريق لفمي، أشعلتني أنفاسه وهو.. يضع"ولاعته" جانبًا في تلذذ!"

"بتعملي إيه؟" فاجأني يحيى بسؤاله وهو يجلس بجواري دون أن أشعر فضحكتُ وأنا أمد له يديّ بما كتبتُ، قرأ في تمهلٍ ثم اتسعت عيناه في دهشةٍ تدريجيةٍ ثم انطلق ضاحكًا وهو يهتف:

- يا بنت الإيه!.. إنتي إزاي كده؟..

- بعض ما عندكم يا أستاذ..

لم يكن يحيى مصورًا محترفًا فقط، في الحقيقة كان عاشقًا للفن بكافة صوره، وكان ماهرًا جدًا في ممارسة عشقه هذا بوضعيتي الصورة والكلمة معًا وبنفس الإبداع، تابعتُ بعد لحظة صمتٍ- لم يكسرها هو:

- إنت السبب.. كنت عمال بتفتح وتقفل علبة السجاير كل عشر ثواني من غير ما تولع السيجارة..

تأمل كلماتي مرةً أخرى وابتسامته تخف تدريجيًا حتى اختفتْ تمامًا وحل محلها تفكيرٌ شاردٌ، لحظة ووجدته يتمتم في خفوت- وبكلماتٍ ممطوطة النهايات:

لدخان التبغ

تصاويرٌ من وهمٍ لذيذ

يأخُذني

من مستحيلِ الوجود

obeikan.com

لشهوة الوجد
على كفها المشتهاةِ
حين يتمُ احتراقي
بين أناملها
أضع على شفتيها
زفرة أخيرة
لزمانٍ عَجُول
أموتُ على حافة المنفضة
وحيدًا
إلا من رفاقٍ
لا يجمعهم إلا
صبغة قُبلتها المُحرِقَة
والرماد*

رَفَّتْ أهدابي في سرعةٍ رُغمًا عني، حاولتُ التحدُث لكن صوتي هرب مني للحظاتٍ عادت فيها الابتسامة لوجه يحيى وهو يقول في هدوء:

– في ناس بتتعامل مع الأشياء بإنسانية كأنهم بشر.. وناس تانية بتتعامل مع البشر وكأنهم مجرد أشياء..

ورحل قبل أن أجيب!

***

* من قصيدة: متتابعات لأجل عيونها – محمد شادي

obeikan.com

هُنَّ

obeikan.com

حين عدتُ إلى القاهرة مع أمي كان باقيًا ثلاثة أيامٍ ليس إلا على افتتاح العرض، تساوتْ سعادتي مع توتري وخوفي لدرجة أنني كنتُ أتقافز كطفلةٍ فوق خشبة المسرح أحيانًا، أو أنزوي مختفيةً بين مقاعد المشاهدين لأبكي في أحيانٍ أخرى، وددتُ كثيرًا لو بكيتُ على صدر طارق، نعم أحببته بروح تلك الطفلة المشتاقة لسندٍ لها في الحياة، وعقل الفنانة التي تحترم فنانًا لا يُستهان بفنه أو به، وبكيان الأنثى التي تأكدت أن مفاتيحها السرية أضحتْ بين يدي هذا الرجل!.

كنتُ في حالة سلامٍ نفسيّ وأنا بجواره، هو الوحيد الذي منحني القدرة على إتيان كل ما تمنيتُ وشاركني فيه، كان طارق يشاركني أدق تفاصيلي باهتمامٍ بالغ، أحيانًا كان يتأملني كرسامٍ يضع لمساته الأخيرة على أحدث لوحاته، فيخبرني أن ذلك اللون سيكون أجمل عليّ، وذاك الحجاب سيبرز نضارة بشرتي، وأنني لو ارتديتُ ذلك القياس سيناسبني أكثر، ولو أقللتُ من تناول القهوة سوف أحمي عينيَّ من الهالات السوداء، لكني بقدر ما كنتُ سعيدةً بذلك بقدر ما كانتْ تنتابني الشكوك أحيانًا في نظرته لي وأنا أتساءل:"ألا يعجبه فيَّ شيءٌ على حاله؟!" أمرٌ وحيدٌ كان يُنغص حالة الانسجام تلك، علاقاته النسائية المتعددة بزميلاتٍ وصديقاتٍ ومعجباتٍ كنتُ أتفهم أغلبها، وإن كنتُ لم أتفهم أبدًا انفتاح بعضهنَّ في التعامل معه الذي يصل إلى أحضانٍ وقُبلاتٍ تزيد عما بين الأصدقاء - مع تحفظي عليه- جرأةً!..

في ليلة الافتتاح ذهبتُ إلى الهناجر أنا وأمي وخالي وأسرته وتركتهم بعد جلوسهم في أماكنهم لأبقى مع طارق خلف الكواليس، كنتُ متوترةً من رأيه الذي سيبديه فيما أرتدي، فقد قضيتُ الساعات الماضية أستعد لحضور العرض وأنا أؤكد على نفسي ضرورة أن أكون في تلك الليلة نموذجًا لما يحب، فارتديتُ"جُوب" ضيق في لون"الشوكولاتة" مع"كابيشو" من نفس اللون مطَعَّمٌ بخيوطٍ وردية، ونَسَّقْتُ حجابي

ليرسم زهرةً على جانب وجهي، مَنَّيْتُ نفسي بلمعة عينيه في إعجابٍ حين يراني فبحثتُ عنه كثيرًا حتى لمحته واقفًا بجوار بطلة العرض يتحدث، كان يرتدي بدلة داكنة تقارب اللون البني أيضًا، فابتسمتُ وأنا أتوجه نحوهما وألتقط آخر كلمات حوارهما وهي تقول:

– أنا قلقانة خالص..

– لا لا.. مش عايزك تقلقي.. إنتي قدها..

فقبلَته متعلقةً برقبته لتلمحني في تلك اللحظة، تراجعتْ للخلف قليلًا دون أن تتخلى عن كتفه الذي أحاطته بذراعها وقالت:

– هاي يا هالة.. إزيك..

التفت طارق نحوي ولمحتُ في عينيه ما تمنيت تمامًا، إلا أن ما شعرت به من ضيقٍ حجب عني الشعور بذلك، فتجاهلته وأنا أجيبها في برود:

– الحمد لله..

ظلا يتطلعان نحوي لبرهة بينما بقيتُ أنا صامتةً أعبثُ في حقيبتي بعصبيةٍ هربًا من مشهد ذراعها الملقى على كتفه، ساد الصمت للحظةٍ حتى سألها:

– مش تروحي بقى تجهزي؟..

لم أنتبه لردها أو لأنها انسحبتْ في صمتٍ، تذكرتُ حينها ذلك اليوم الذي قابلتُ فيه أحد زملائي الشعراء والذي يمتاز بخفة ظلٍ جعلتني لا أتوقف عن الضحك طوال لقاءنا حتى قابلنا طارق في طريقنا نحو الهناجر، اقتربنا وحيَّيناه فأومأ لنا وهو يُصافحنا في برودٍ قبل أن ندخل إلى"البروقة"، مال نحوي يسألني بنفس البرود:

– هو إيه اللي كان بيضحكك قوي كده وإنتم جايين؟..

– عمار ده مشكلة أصلًا.. صعب تتكلم معاه كلمتين جد على بعض..

– طيب خدي بالك شوية من قصة الضحك الكتير دي عشان مش الكل هيفهمها صح..

عند هذا الحد لم أتمالك نفسي وانفعلتُ في ضيقٍ هامس:

– ضحكي مع زميل بشكل غير ملفت مش الكل هيفهمه صح والمشاعر الفنية بتاعتكم هي اللي صح قوي يا طارق.. مش كده؟!..

توقف ينظر إليّ أمام الباب وسأل:

– تاني؟!..

"مالك؟.. "

انتبهتُ على صوت طارق وهو يرفع وجهي نحوه ليطمئن عليّ، أردتُ أن أخبره بما أثار ضيقي لكني تراجعتُ، فقد أخبرته من قبل كثيرًا أنني أكره أسلوبهن معه، وطلبتُ منه ألا يشجعهن على ذلك، فَيُصِرُّ في كل مرةٍ على أنه لا يفعل لكنه أيضًا لا يستطيع إحراج إحداهن إن تصرفتْ بهذا الشكل، لم أكن أيضًا أرغب في تعكير صفو ليلتنا، كل ما أردته أن يتوقف عن التساؤل أكثر من

ذلك لأنني قد أنفجر غاضبةً في أي لحظة إن استمر، لكنه استمر:

– لولا.. في إيه؟.. إنتي قلقانة للدرجة دي؟..

– آه بالظبط.. قلقانة زيها خالص..

وأشرتُ نحو مكان وقوفه السابق مع تلك الفتاة فابتسم وهو يربت على كتفي وهمس:

– بطلي جنان..

نظرتُ له للحظةٍ كتمتُ فيها دموعي قبل أن أقول:

– أنا جيت أسلم عليك بس ورايحة أقعد مع ماما وخالي..

قبل أن أتحرك أمسك يدي وسألني:

obeikan.com

- مش هاتفضلي معايا؟..

تطلعتُ في عينيه مباشرةً ربما يشعر كم أتمنى هذا، بل كم أتمنى أن أخبئه في صدري لأبعده عن أعينهن، أنا من تحبه وأنا أحق به من تلك اللمسات العابرة المبتذلة، وكم تمنيت لو سمعتُ منه كلمة إعجابٍ كاللاتي سمعتهن من كل من رآني في تلك الليلة لكني سَكَتُّ عن كل أمنياتي لأحترق في صمت، ورغم ذلك تمسكتُ بيده وأنا أجيبه:

- حاضر..

***

obeikan.com

❖ تطلعتْ نحونا في حقدٍ واضحٍ لم تُحاول إخفاؤه، لا أدري لمَ أصبحتْ تضيق بنا رغم أن وجودنا في حياته كان أمرًا طبيعيًا جدًا، لكنها مع ذلك لم تلمْه أو تعاتبه أو حتى تُلمِح له عن ضيقها هذا ولو بنظرةٍ، فهي تعلم أنه سيتهمها بأنها"كبرت وخَرَّفَت" لتُفكر على هذا النحو، لكنها تضيق بنا فعلًا، أنا أعلم!..

أكادُ ألمح ابتسامةً راضيةً على شفتيه، هو سعيد بغيرتها عليه حتى في مثل عمره هذا وحتى لو غارت منّا نحن، يثير أعصابها تمسُّكي بكفه في إصرارٍ، والتفاف ذراعَيّ رفيقتي حول عنقه هامسةً له بشيءٍ ما في دفء، رأت ذراع رفيقتي وهي تتسلل نحو قلبه فرمتها بنظرةٍ ناريةٍ تحمل تحذيرًا يقول:"من الأفضل لكِ أن تتراجعي.. "

رأته يزيح الذراع الملتفة حول عنقه بعيدًا بعض الشيء ويسحب كفه من كفي ليتوجه نحوها في خطواتٍ متمهلةٍ وهمس مبتسمًا:

- يا غَيَّارة..

توردتْ له تجاعيد الزمن في وجنتيها وسخرتْ من أفكارها التي حولتنا لغريماتٍ لها، ربتتْ بكفها المرتعشة على صدره بينما ابتسم هو مدركًا خيالات تلك المراهقة الصغيرة بداخلها والتي تُريده لها وحدها بمنأى عن أي نونٍ للنسوةِ مهما كانت، حتى ولو كن نحن!..

قبض على كفها بيدٍ وبالأخرى دار بينهما صراعٌ محببٌ حاول هو فيه من جهةٍ انتزاع ذراعَي رفيقتي"الكشمير" عنه لكنها أعادتها له، ومن جهةٍ أخرى نجحتْ في دفعه للإمساك برأسي العاجية والتوكؤ عليّ مرةً أخرى بعد أن تركني حيث كان جالسًا منذ قليلٍ!

البندول

obeikan.com

عاد خالي في ذلك اليوم مُبكرًا لتناول الغداء معنا، أنا وأمي وزوجته وأبنائه وشقيقتي هانيا- التي أتتْ في زيارةٍ لتودعه قبل سفره بعد عدة أيام، جلسنا جميعًا بعد الغداء في حديقة"الڤيلا" مُلتفين حول خالي الذي كان قد أحضر لكل منا تذكارًا قبل سفره، وهو أمرٌ حمل في نفوسنا رهبةٍ غير محببة، حتى أن أمي قالت وهي تربت على كتفه:

- تعيش وتجيب يا حبيبي.. بس حد بيجيب هدايا قبل ما يسافر يا خالد؟!..

قَبَّلَهَا على جبينها وأجاب مبتسمًا:

- محدش ضامن عمره..

وعند هذا الحد بدأ أبنائه في البُكاء بينما انسحبتْ زوجة خالي لتصعد سريعًا إلى شقتها باكيةً أيضًا، وحين تبعتها أنا لأهدئها قليلًا نظرتْ لي من بين دموعها وتمتمتْ:

- جاي يسافر بعد العمر ده؟..

- معلش يا طنط.. عايز يوفرلكم أحسن عيشة..

- إحنا عايزينه هو يا هالة..

قاطعتنا دقات الساعة الضخمة التي ورثها خالي عن جدي رحمه الله لنصمت ونراقبها في استسلام!..

***

❖ لم أملك سوى الرقص على دقات الساعة.. "تك.. تك.. تك".. أغدو يمنَةً وأعود يَسرَة.. "تك.. تك.. تك".. أتجول في محيط الأركان الخشبية العتيقة وأظل أركل جانبيها مطالبًا بحريةٍ أُدرك تمامًا أنها مستحيلةً، فأمضي في رحلتي كما أنا.. "تك.. تك.. تك"!..

كنتُ أعلم أنني جزءٌ من مسميات الحياة حولها، ليستْ الساعة الأثرية ذات الميناء العاجيّ- والتي لا أذكر إلى عهد أي خديوي تعود – أنه أنا من أضحى صاحبًا لساعات يومها ورفيقًا لأفكارها الصامتة على الدوام، لدرجة أنها لم تكن تميز الوقت من قفزات العقارب الثلاثة بل من انعكاس خيوط الشمس أو أضواء المساء على جسدي أنا الذي يفوق أمهر"الراقصين" رشاقةً!..

منذ أن استيقظتْ اليوم وهي تجلس قُبالتي في ترقب، كانت قد نهضتْ بعد الضُحى بساعاتٍ طويلةٍ جعلتها تنظر نحوي في فزعٍ وعيناها تسألني:"هل أمسينا؟!".. لقد بدا الكون ضبابيًا في عينيها ولأول مرةٍ تنخدع في قراءة ما أمنحه لها من دلالاتٍ دقيقة، لم يكن اليوم قاتمًا في عينيها وحدها، بل لقد بدا ذلك جليًا في عينيه هو الآخر وهو يربتُ بأنامله على وجنتها لتكتشف أنها كانت تغفو، ما تراه إذن ليس إلا كابوسًا مزعجًا ومحض أوهام، لم يحنْ يوم رحيله بعد، ليس بهذه السرعة على أيِّ حال، هي لم تشعر بحنان قربه ودفء وجوده بما يكفي لتحمُّل برودة ليالٍ جديدةٍ وحدها، لمسته الحانية تلك تؤكد لها أنها لم تزل في وهم النوم الجميل، أيُّ شيءٍ أكثر روعةً وجمالًا مادام هو هنا بجوارها ولن يرحل؟!..

فتحتْ عينيّها مبتسمةً له وواجهتها بسمته وهو يهمس:

- إنتي نمتي ولا إيه؟!..

- الظاهر كده يا حبيبي..

رأيته يمس جبينها بشفتيه فتغمض هي عينيها في سعادةٍ جعلتني أزيد من رقصاتي على نفس الإيقاع.. "تك.. تك.. تك".. سمعتُ صوت أفكارها وابتسامتها تتسع أكثر، يبدو أنها كانت تتوهم من البداية وهو لن يرحل عنها إلى أي مكان، لن يترك لها الوحدة رفيقًا غير مؤنسٍ لليالٍ عديدةٍ باردة، لقد كان وهمًا حميدًا لا يعنيها من أمره شيئًا مادام هو هنا، سيأتي الآن ليخبرها أنه ذاهبٌ إلى الخارج مع صديقٍ ويوصيها أن تتناول عشاءها مع الأولاد دون أن تنتظره، صحيح أن النهار وَلَّى وساعات الليل موحشةً من دونه لكنها سوف تبتسم له وتسوي ربطة عنقه وتخبره أن يذهب كما يشاء وسوف تنتظره هي كما تشاء..

"أنا خلصت تحضير الشنطة.. " كدتُ أسقط بعد أن تعثرتْ خطواتي إثر جملته تلك، تمالكتُ نفسي وتابعتُ خطواتي الراقصة في خفوتٍ يمكنّها من ترتيب أفكارها لتفهم، كنتُ أريد أن أفهم أنا أيضًا.. "تك.. تك.. تك".. أخذتْ العقارب المتوحشة تلتهم الثواني المسكينة في تلذذٍ أمام ناظريها لتظهر الحقيقة أمام عينيها فجأة، مَنْ كانت تخدع أو مَنْ كان يخدعها؟!..

إنه يوم الرحيل، تأمين مستقبل الأبناء، المعيشة الأفضل، مُسمياتٌ ظلت تتراص أمام عينيها وتتطاير بين جنبات الساعة الخشبية العجوز.. "تك.. تك.. تك".. إنها بين يديه حقًا وجاء يخبرها أنه ذاهب الآن، لكن ليس إلى الخارج مع صديق، بل إلى بعيدٍ جدًا خلف الحدود، أما هي فستظل هنا ترقبْ رقصاتي وأراقبها أنا تُصارع وحدتها في صمت، تتشاجر مع وسادتها

الموحشة وفنجان قهوتها اليتيم ثم تُشفق عليه أخيرًا فتقبل طرفه لترتشف منه بعض من مَرَار الحَبَّات السمراء ربما يخفف من مَرار أيامِهَا!..

دقات الساعة العاشرة أتت الآن لأخذه منها!.. "تك.. تك.. تك"..

بكتْ تكات الساعة وأضحتْ رقصات عقاربها واهنة ضعيفة.. "تك.. تك.. تك".. الدقات العشر تقترب من الاكتمال.. "تك".. والسكون يطبق أكثر.. "تك".. وبقيتُ مؤنسها الوحيد بلمعاني الذي بُهِتَ وأنا أتمايل يَمَنَةً ويَسرةً.. "تك.. تك".. بعد أن حان الرحيل!.

***

obeikan.com

obeikan.com

قُبلَة حارة الألوان

obeikan.com

جلستُ في الغرفة الملحقة"باستوديو" التسجيل وأنا أُحاول الاتصال بطارق للمرة الرابعة خلال ساعة، أصابني قلقٌ مزدوج، فمن ناحية سيقوم طارق اليوم بتصوير دوره في أحد الأعمال السينمائية بعد فترة ابتعاد عن"السينما"، ومن ناحية أخرى سيتم تسجيل التمثيلية الإذاعية التي قمتُ أنا بكتابتها، كنتُ في حاجةٍ للاطمئنانِ عليه وفي حاجةٍ لصوته ليُطمئنني أنا الأخرى، أخيرًا أجاب في حِدَّة:

– أيوة يا هالة.. في إيه؟.. مش عارفة إن عندي شغل؟

صُدِمتُ للحظةٍ لم أتمكن خلالها من الرد والدموع تُسرِع نحو مُقلَتَيَّ فجأة حتى سمعته يُكرر كلمة"ألو" أكثر من مرة، تنفستُ في عمق وعيناي تبتلع الدموع وأجبت:

– آه يا طارق عارفة عشان كده اتصلت أتطمن عليك..

– وهو إللي عايز يتطمن على حد يا هالة يوتَّره بكل الاتصالات دي؟

– إمبارح قلت هاتقفل موبايلك لما تبدأ تصوير.. ولما اتصلت وما ردتش خوفت يكون راحت عليك نومة وما نزلتش..

– هو تحقيق؟!.. نسيت أقفله..

– لأ مش تحقيق بس أنا أعرف منين يعني؟..

تنهدتُ في قوةٍ وأنا أسمعه يفعل المثل ثم قال:

– خلاص يا هالة لما أخلص هاكلمك.. سلام..

وأغلق قبل أن أرد له سلامه، لُمت نفسي لإلحاحي عليه ولُمته لأنه لم يُقَدِّر قلقي، مضت لحظة قبل أن أتمالك أعصابي وأتطلع حولي لأكتشف أنني لازلت وحيدةً في الغرفة الملحقة"بالاستوديو" والمخصصة لهندسة الصوت، دخل المهندس في تلك اللحظة ورأيتُ الممثلين– من خلف الحاجز الزجاجي– يصطفون بالقرب من"الميكروفونات"، جلس المهندس خلف مكتبه هو الآخر وقال:

- لو سمحتي يا أستاذة ياريت تقفلي الموبايل..

هززتُ رأسي وأخذتُ أبحث عن الهاتف دون أن أعي أنه في يدي ولم أنتبه لذلك إلا حين وصلني إشعار عليه من برنامج"سكايب" يخبرني أن طارق أرسل لي مكالمة"ڤيديو"، ترددتُ بعض الشيء أمام نظرات مهندس الصوت، في النهاية اعتذرتُ منه وخرجتُ من الغرفة لأُجيب طارق الذي نظر إلى"الكاميرا" في لومٍ وحنانٍ ممتزجين بصورةٍ غريبةٍ وقال:

- هو إنتي زعلتي ولا إيه؟..

ظللتُ للحظاتٍ أتطلع إلى صورته دون أن أقوى على الرد، شعرتُ أنني لو تلفظتُ بكلمةٍ سوف أنفجر باكيةً على الفور بينما ظل هو يتطلع إليّ في صمتٍ حتى أجبته في خفوتٍ:

- لا يا حبيبي..

ابتسم وقال:

- كدابة قوي..

ابتسمتُ وهو يتطلع إلى شيءٍ ما خلفي ويسأل:

- هو إنتي مش في الشغل؟..

- لأ.. أنا في الاستديو عشان النهارده تسجيل التمثيلية..

كان مهندس الصوت يشير إليّ أنهم سيبدأون بينما رفع طارق حاجبيه مستنكرًا وقال:

- النهارده تسجيل التمثيلية وما تقوليليش!.. كويس يعني اللي جرى ده؟..

- أنا ما عرفتش ميعاد التسجيل إلا إمبارح بالليل وإنت ما كنتش في حالة تسمح أزود توترك.. كنت بكلمك دلوقتي عشان أتطمن على شغلك وأقولك..

كنتُ أنظر إليه في حنانٍ فاق حنانه، كنت أراه طفلي المدلل الذي يشعر بتأنيب ضميره لأنه صرخ في وجهي وأحزنني دون أن يقصد، أحببتُ نظرته تلك كثيرًا فلم أقوَ على تركه يعاني أكثر من ذلك ولم يكن لديَّ مزيدًا من الوقت لأفعل، فتوجهتُ نحو غرفة الهندسة الصوتية وأنا أقول:

- حصل خير يا حبيبي.. المهم ركز إنت في التصوير.. عايزاك تكسر الدنيا..

- حقك عليا يا لولا.. ما تزعليش مني.. أول ما أخلص هابعتلك بوسة في ماسيدچ..

وضحكت في عينيّ الدموع!..

***

obeikan.com

❖ صوت حشرات الليل مع (**اقتراب تدريجي fade in**) لخطوات أنثوية بطيئة، ثم صوت شباك يُغلق وثلاث دقات للساعة..

- سلوى (**لنفسها بكسل**)– (**قريبًا من المايك on mic**): مفيش فايدة.. هافضل على طول كده أصحى وقت ما الناس بيناموا وأنام وقت ما بيصحوا.. مفيش مرة أعرف أنام قبل الفجر!..

صوت (**اقتراب تدريجي fade in**) لخطوات سلوى وهي تتجه للجلوس على مقعد، ثم صوت بداية الويندوز وتسجيل الدخول إلى برنامج skype..

- سلوى (**تُحدّث اللاب توب**) – (**قريبًا من المايك on mic**): حاولت أنام ما عرفتش ومحدش بيونسني غيرك.. (**تدندن بتونس بيك وإنت معايا**) إيه ده!.. إيه كل الرسايل دي؟!.. (**صوت أزرار "الكيبورد"**) أوووف فصيلة ممكن نتعرف دي مش هاتنقرض أبدًا!.. آدي إضافة.. إتنين.. تلاتة.. يوووو.. مش فاهمة أنا الناس دي جنسها إيه!.. أربعة وأربعين سنة يا غجر.. يعني ماليش في الشقط!..

لحظة صمت إلا من المؤثرات حولها..

- سلوى (**تضحك بقوةٍ**): وخلاص بقوا خمسة وأربعين ولاحدش داري.. (**اقتراب تدريجي fade in**) **لصوت خطوات**)..
- علي (**في دهشة**): إنتي بتكلمي نفسك يا ماما!..
- سلوى (**تضحك**): أمك مجنونة يا علي..

obeikan.com

- علي: طب كل سنة وإنتي طيبة يا أحلى مجنونة.. (**صوت قُبلَة**)
- سلوى: وإنت طيب يا حبيبي.. عندك مذاكرة؟ (**ابتعاد تدريجي fade out) لخطوات علي**)
- علي (**بعيدًا عن المايك off mic**): ثانوية عامة يا نااااااااس.. أعملك قهوة معايا؟ (**صوت أذان الفجر**)
- سلوى (**بصوت مرتفع**): لأ.. روح إنت لمذاكرتك وأنا هاعملنا إحنا الإتنين بس بعد الصلاة..

صوت الأذان مع (**ابتعاد تدريجي fade out) لخطواتها**)

(**نقلة موسيقية**)

***

(عودة للماضي Flash back)

صوت الأذان مع (**اقتراب تدريجي fade in**) لخطوات.

- عبد الله (**يُتمتم في خفوت**): اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة.. آتِ سيدنا محمدًا الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة.. وابعثه اللهم مقامًا محمودًا الذي وعدته.. (**بصوت مرتفعٍ**) يللا يا سلوى.. (**اقتراب تدريجي (fade in) لخطوات سلوى**)
- سلوى: خلاص يا حبيبي.. إتوضيت أهو..
- عبد الله: (**ابتعاد تدريجي fade out**) طيب يللا.. الله أكبر الله أكبر.. أشهد أن لا إله إلا الله.. أشهد أن محمدًا رسول الله..

obeikan.com

حي على الصلاة.. حي على الفلاح.. قد قامت الصلاة.. قد قامت الصلاة.. الله أكبر.. الله أكبر.. لا إله إلا الله..

(**نقلة موسيقية**)

***

(**عودة للحدث الحالي**)

صوت إعداد القهوة مصحوبًا بصوت خطوات سلوى تذهب وتجيء..

- علي (**بعيدًا عن المايك off mic**): يا ماماااا.. فين القهوة؟
- سلوى: حالًا..

(**اقتراب تدريجي (fade in) لخطوات علي**)

- علي: ما تعمليلنا أم علي يا أم علي..
- سلوى: بلاش غلبة وامشي شوف اللي وراك..
- علي: أنا غلباوي برضو يا أم علي!.. (**ابتعاد تدريجي fade out) لصوت خطواته**) ماشي يا مُزَّة..

سلوى (**ضاحكةً في همسٍ**): أم علي..

(**نقلة موسيقية**)

***

(**عودة للماضي Flash back**)

(**حوار المسمع بالكامل قريبًا من المايك on mic**)

صوت أنفاس سلوى اللاهثة مع (**اقتراب تدريجي (fade in) لخطوات سريعة**) صوت وضع كوب على "الكومود"..

- عبد الله (**بحنان**): أحسن دلوقتي؟..

obeikan.com

- سلوى (**في إرهاق**): الحمد لله
- عبد الله: لسه دايخة؟
- سلوى: مش قوي..
- عبد الله: سلامتك يا حبيبتي.. خدي اشربي العصير ده..
- سلوى: لا لا.. معدتي مقلوبة مش قادرة..
- عبد الله: لأ ماينفعش كده.. ما تطاوعيش نفسك.. إنتي محتاجة تتغذي كويس..
- سلوى (**بدلال**): خايف على ابنك طبعًا..
- عبد الله: خايف عليكي في الأول..
- سلوى (**ضاحكةً**): عارف نفسي رايحة لإيه!
- عبد الله: قولي وأنا أنزل أجيبهولك حالًا..
- سلوى: أم علي..
- عبد الله (**بتفكيرٍ**): أم علي!..
- سلوى: معرفش ليه هَفِّت عليا..

لحظة صمت..

- سلوى: مالك يا عبده؟..
- عبد لله (**يضحك**): إيه رأيك في علي يا سلوى؟..
- سلوى: علي!.. حلو علي يا عبده..
- عبد الله: إنتي أحلى يا.. . يا أم علي..
- سلوى (**ضاحكةً**): أم علي..

(نقلة موسيقية)

obeikan.com

(عودة للحدث الحالي)

صوت فوران القهوة

- سلوى (**في ارتباك**) – (**قريبًا من المايك on mic**): يا خبر!.. مخي كان فين؟!.. (**اقتراب تدريجي fade in**) **لخطوات عَلِي السريعة**)
- علي: شَكلِك فَوَّرتِي القهوة زي عادتك يا ست ماما..
- سلوى: لأ يا لمض.. قهوتك أهي.. كنت بغلي قهوتي أنا.. (**صوت ارتشاف القهوة**)..
- علي: ممم.. . تسلم إيدك يا كبيرة.. (**يُقَبِّلهَا**)
- سلوى (**تضحك**): إنجر ذاكر بقى..
- علي: ليه كده بقى؟!.. (**ابتعاد تدريجي fade out**) **لخطواته**) بلاش تقطعي برزقك يا كبيرة.. ده أنا بالليل مظبطلك مفاجأة..
- سلوى (**بصوت مرتفع**): مش عايزة حاجة.. خليك في مذاكرتك..
- علي: مالكيش فيه.. أنا علي.. وإنتي ماما بتاعتي أنا..

(نقلة موسيقية)

***

(عودة للماضي Flash back)

صوت"تليفزيون" يعرض حلقات"توم" و"چيري" مصحوبًا بصوت طفل يلهو..

obeikan.com

- سلوى (**بعيدًا عن المايك off mic**): وَطِّي التليفزيون شوية يا علي..
- علي (**بلدغة في الراء**): أنا بتفرج يا ماما.. (**اقتراب تدريجي fade in**) **لصوت خطواتها ثم صوت"التليفزيون" ينخفض**)
- سلوى: إتفرج يا حبيبي بس ما تقلبش البيت مُرِستان.. مش إنت كده سامع كويس؟
- علي (**بلدغة في السين**): سامع..
- سلوى (**تضحك وتقبله**): ربنا يكملك بعقلك يا ابني يا حبيبي..
- علي: هاتعمليلي حاجة حلوة بقى؟!
- سلوى: آه.. هاعملك أم علي.. (**ابتعاد تدريجي fade out**) **لصوت خطواتها**)

صوت"التليفزيون"في الخلفية، يتبعه بعد لحظة صوت مفاتيح ثم صوت باب الشقة يُفتح ويُغلق، مع (**اقتراب تدريجي fade in**) **لصوت خطوات**)

- علي (**في فرح**): بابا جه.. بابا جه..
- عبد الله: حبيب بابا..
- سلوى (**بعيدًا عن المايك off mic**): حمدلله ع السلامة يا بابا..
- عبد الله (**بصوت مرتفع**): الله يسلمك.. ميت م الجوع يا ماما
- سلوى: حالًا..
- عبد الله: معلش بقى يا عِلوَة.. نشوف الماتش..

obeikan.com

صوت تحويل قناة"التليفزيون" من حلقات الكرتون لإذاعة مباراة كرة قدم ثم ارتفاع صوته قليلًا..

- علي (**يهمس بلدغات في السين والراء**): يا بابا.. اتفرج بس ماتقلبش البيت مُرستان..

صوت ضحك عبد الله مصحوبًا بانخفاض صوت التليفزيون مرةً أخرى مع **(اقتراب تدريجي (fade in) لصوت خطوات سلوى)**

- علي (**في جِديّة ولدغة في الراء**): ربنا يكملك بعقلك يا بابا يا حبيبي..
- سلوى (**تضحك**): إنت كمان هاعملك أم علي..
- علي (**محتجًا**): أم علي بتاعتي أنا.. أنا علي.. وإنتي ماما بتاعتي أنا.. (**صوت ضحك سلوى وعبد الله**)..

(نقلة موسيقية)

***

(عودة للحدث الحالي)

صوت أزرار "الكيبورد"

- سلوى)- (**قريبًا من المايك on mic**): الله!.. حلو قوي الكلام ده.. (**تضحك**) شكل سامية دي كائنة ليلية زي حالاتي.. بيطلع منها أحلى بوستات بالليل.. (**صوت ارتشاف القهوة وهي تقرأ بصوتٍ عالٍ**) عبر الشاشة وجهك المبتسم يطالعني، وقبلةٌ مرسلةٌ مع رسمةٍ كارتونيةٍ لطفلةٍ تقفز بكل قوتها، وتمر الأيام.. هل كنتَ معي حقًا؟ هل أنا معك الآن؟!.. كل ما

obeikan.com

أدريه هو أنك تتجول بحجرات قلبي وتترك في كل ركنٍ منه أثرًا منك، وما الصبر إلا راية استسلام لأقدارٍ غاشمة.. هو الصبر دواء.. هو الصبر داء.. هو الصبر فناءً، قد صار الصبر على البلاء كل البلاء*

(نقلة موسيقية)

***

(عودة للماضي Flash back)

(حوار المسمع بالكامل قريبًا من المايك on mic)

صوت شقشقة الطيور في الفجر مصحوبًا بصوت"ولاعة"، ثم صوت زفرات الدخان

مع **(اقتراب تدريجي (fade in) لصوت خطوات أنثوية متكاسلة)**

- سلوى (**في دهشة**): إيه ده!.. إنت لسه ما نمتش!
- عبد الله (**بعد لحظةٍ**): مش جايلي نوم..
- سلوى (**بقلقٍ**): مالك يا عبده؟
- عبد الله (**يتنهد**): مفيش.. ماتقلقيش.. مفيش حاجة..
- سلوى (**بهمسٍ**): إنت لسه شايل هَمّ المصاريف!.. (**صمت**)..
- عبد الله (**في خفوتٍ**): مش عايزكوا تحتاجوا حاجة يا سلوى..
- سلوى: إحنا الحمد لله أحسن من غيرنا كتير يا حبيبي..
- عبد الله: يا سلوى إحنا يادوب عندنا ولد واحد ولسه حتى

***من خاطرة (وجهك المبتسم) لـ سامية أبو زيد**

obeikan.com

ماخدش الابتدائية.. والعيشة على القد.. اللي جاي على قد اللي رايح.. إفرضي ربنا رزقنا بولد ولا بنت غيره.. بلاش.. هو مع الوقت مش مصاريفه هاتزيد؟!.. (**صمت**).. أنا هحاول أنام ساعتين قبل ميعاد الشغل.. تصبحي على خير.. (**ابتعاد تدريجي fade out لصوت خطوات عبد الله**)

- سلوى (**في خفوت**): وإنت من أهله..

(**نقلة موسيقية**)

***

(عودة للماضي Flash back)

- عبد الله (**بانفعال**): خلاص يا سلوى ما عدتش مستحمل..
- سلوى (**بتوترٍ**): إحنا عايشين أحسن من غيرنا يا عبد الله..
- عبد الله: يا ستي عارف.. عارف إننا أحسن من غيرنا..
- سلوى (**تبدأ في الانفعال**): يبقى نقول الحمد لله..
- عبد الله (يهدأ قليلًا): الحمد لله يا سلوى.. الحمد لله.. (**لحظة صمت ثم ينفعل**) بس ربنا قال اسعى يا عبد..
- سلوى: هاترجع تاني تتكلم في موضوع السفر!
- عبد الله: وليه لأ..
- سلوى: عشان مالوش لازمة.. إحنا عايشين كويس والحمد لله..
- عبد الله: عايشين كويس الحمد لله.. وأحسن من غيرنا الحمد لله.. بس طول ما أنا عارف إني أقدر أوفرلكم عيشة أحسن وساكت بحس إني مقصر..

- سلوى (**بقلقٍ**): إنت لقيت عقد بَرَّة؟
- عبد الله (**في ضيقٍ**): لسه..
- سلوى (**بصوت مُختنق**): خلاص.. أنا ممكن أرجع شغلي تاني وبلاش فكرة السفر دي خالص..
- عبد الله (**يحاول أن يهدأ**): إنتي عارفة إني مش رافض شغلك بس لو اشتغلتي هايبقى ليكي إنتي.. ده مالوش دخل بالبيت..
- سلوى: ليه بقى مالوش دخل بالبيت؟..
- عبد الله: عشان أنا المسؤول عن البيت يا سلوى.. أنا اللي لو حكمت ممكن أنا اشتغل شغلتين.. لكن هابقى كأني ساكن في بنسيون.. هاتشوفوني ع النوم وبس.. ده لو شوفتوني.. يعني السفر في الحالة دي هايكون أحسن..
- سلوى (**تبدأ في البُكاء**) – (**قريبًا من المايك on mic**): لو سافرت مش هانشوفك خالص يا عبد الله.. (**صوت بكائها على صدره**)
- عبد الله: طيب بس.. بس خلاص..
- سلوى: ما تسيبنيش لوحدي

(**نقلة موسيقية**)

***

(**عودة للماضي Flash back**)

صوت بُكاء سلوى الخافت مصحوبًا بصوت غلق حقيبة سفر..

- عبد الله (**في إشفاقٍ**): خلاص بقى يا سلوى عشان خاطري..

obeikan.com

- سلوى: كان لزومه إيه السفر بعد العمر ده!
- عبد الله: تاني يا سلوى!..
- سلوى: تاني وتالت.. الولد وكبر الحمد لله وكام سنة ويدخل الجامعة والحمل يخف.. يبقى لزومه إيه؟!..
- عبد الله: هو أنا رايح أموت يا سلوى!..
- سلوى (**تعود للبُكاء**): إخص عليك.. إوعى تقول كده تاني..
- عبد الله (**في تأثرٍ**): حاضر.. ما تزعليش.. ما أقصدش والله.. أهم كلهم كام سنة وأرجعلكم وتزهقوا مني يا ستي..
- سلوى: وهو أنا عمري زهقت منك!.. إحنا عمرنا ما فارقنا بعض من يوم ما إتجوزنا يا عبد الله..
- عبد الله: معلش.. سلميها لله وهو هايهونها إن شاء الله..

(**اقتراب تدريجي (fade in) لصوت خطوات**)

- علي (**في مرحٍ مصطنعٍ**): هاتوحشني يا عبده.. (**صوته يحتضن عبد الله**)
- عبد الله: وإنت كمان يا باشمهندس.. (**صوت غلق حقيبة أخرى**)
- عبد الله: عايزك تاخد بالك من نفسك ومن ماما يا علي..
- علي: أم علي في عينيا يا أبو علي..
- عبد الله: ربنا يخليكوا ليا ويجمعنا تاني على خير..
- سلوى: يارب..

(**نقلة موسيقية**)..

(عودة للحدث الحالي)

- علي (**اقتراب تدريجي fade in**): ماما.. ماما.. يا ماماااا..
- سلوى (**في فزعٍ**): إيه!.. خضيتني..
- علي: خضيتك إيه بس!.. (**يضحك**) أنا بقالي خمس دقايق بكلمك مش سامعاني.. سرحانة في إيه اعترفي؟.. وحشك المز؟.. **(تضربه في مزاح)**
- سلوى (**بارتباكٍ**): إنت إيه اللي جابك هنا أصلًا؟.. مش قلت هتذاكر؟..
- علي: يا لهوي على الفصلان.. النهارده عيد ميلاد مامتي وعايز أفرفشها وأضحكها.. خصوصًا يعني أن المز مسافر.. فيكون جزائي إنك تفكريني بالهم الأزليّ اللي ورايا!..
- سلوى (**تضحك**): طب اتفضل امشي ذاكر وأنا بالليل هاعمل حاجة حلوة ليا وليك.. وبعدين عايز تفرحني بجد يا علي التفت لمستقبلك.. (**يُقَبِّلهَا**)
- علي: حاضر يا أم علي.. تصدقي حلوة!.. إعمليلنا أم علي يا أم علي.. (**ابتعاد تدريجي fade out**) **لضحك علي وخطواته**)

صوت إشعارات ترِد على facebook..

- سلوى (**تتنهد**) – (**قريبًا من المايك on mic**): نرد إحنا كمان على سامية بقى..

(لحظة صمت إلا من صوت أزرار "الكيبورد")

- سلوى (**تقرأ ما كتبتْ**): نحن نقنع أنفسنا أنه لا يأس ما دام هناك بقلوبنا نبضٌ يتردد، فيولد فينا الأمل ونظل نبني له على شطوط العمر بيوتًا – حتى ليست قصورًا – من رمال، ونتخيل أن تمسكنا بذرات الرمل هو تمسك بالأمل، وفي الحقيقة لا ندري هل ما نحن فيه صبر أم استسلام؟!.. (**صوت أزرار "الكيبورد"**)
- سلوى: نسمع عبد الوهاب بقى.. (**تقلد طريقة حديث عبد الوهاب**) الواحد يتح يحزن لأن ثنة مرت من عمره مش يفرح.. (**تضحك**)

صوت أغنية"يا مسافر وحدك"وتظل مسموعة في الخلفية مع صوت إشعار جديد يصل على facebook..

- سلوى (**تقرأ**): قامت سامية بالإعجاب بتعليقك.. علقت سامية على تعليقك على المنشور الخاص بها.. معقولة ردت بسرعة كده؟!.. (**تهمهم في خفوت ثم تقرأ مرة أخرى**).. حينما أقرأ تعليقك ينتابني الإحساس بأنك لم تقرأي النص فحسب بل قرأتِ معه أفكاري واطَّلَعتِ على مكنون فؤادي..

(**نقلة موسيقية**):"كوبليه" من أغنية يا مسافر وحدك: على نار الشوق أنا هاستنى/ وهاصبر قلبي وأتمنى/ على بال ما تجيني وأتهنى.. . ثم (**ابتعاد تدريجي (fade out) للموسيقى التالية"للكوبليه" السابق**) وتظل الأغنية مسموعة في الخلفية مع وصول إشعار على برنامج skype..

- سلوى: تاااااني!.. ده أنا حتى عملت أوف لاين.. (**تضحك ثم تتنهد فرحة**) يا حبيبي يا عبد الله!.. خايف تكوني نايمة فقلت

أبعتلك بوسة عيد ميلادك على ما تصحي.. كل سنة وإنتي حبيبتي يا حبيبتي.. (**صوت أزرار "الكيبورد"**) إنت تعرف عني إني بكون نايمة دلوقتي؟.. وإنت طيب يا حياتي.. (**صوت اتصال صوتي على skype**) ألو..

- عبد الله (**من وراء حاجز behind obstruction**): كل سنة وإنتي طيبة يا حبيبتي..
- سلوى: وإنت طيب يا حبيبي.. ربنا ما يحرمني منك أبدًا
- عبد الله (**من وراء حاجز behind obstruction**): طمنيني عليكي.. (**صوت الاتصال يسوء**)
- سلوى: أنا وعلي بخير الحمد لله.. بس.. بس الاتصال مش حلو يا عبدالله.. الصوت بيرن.. (**اقتراب تدريجي (fade in) لخطوات مسرعة**)
- علي (**بصوتٍ مرتفعٍ**): ازيك يا والدي..
- سلوى (بانزعاجٍ): مش وقته يا علي.. الاتصال وحش أصلًا.. (**ابتعاد تدريجي (fade out) لصوت خطواته**)
- علي (**بعيدًا عن المايك off mic**): ماشي يا أم علي.. خلي المِز ينفعك..
- سلوى: ألو.. عبد الله إنت هنا.. ألو.. (**صوت قطع الاتصال ثم محاولة سلوى الاتصال مرة أخرى حتى يجيب**)
- سلوى (**في ضيقٍ**): ألو.. عبد الله..

- عبد الله (**من وراء حاجز behind obstruction**): مالك بس يا سلوى؟
- سلوى: مش عارفة حتى أسمع صوتك!.. (**ابتعاد تدريجي fade out**) **لخطوات شخصين ثم صوت قطع الاتصال**)
- عبد الله (**بصوته الطبيعي**): طيب.. كده أحسن؟
- سلوى (**في فرحٍ**): عبد الله!
- علي: شوفتي المفاجأة يا أم علي..
- سلوى: عبد الله!.. إنت هنا
- عبد الله: كان لازم أحاول أكون هنا النهارده..

(**خاتمة موسيقية**):

(**اقتراب تدريجي fade in**)"**كوبليه" من أغنية يا مسافر وحدك**: **مهما كان بُعدك هايطَوِّل/ أنا قلبي عمره ما يتحول/ هافتكرك أكتر م الأول**)

النهاية

***

obeikan.com

obeikan.com

خائفة

obeikan.com

❖ "أعتَقَتْ ذلك الغجري من عبودية مشابك الشعر لتنثره على كتفيها في فوضى كما يُحب هو، تخيلتْ نظراته وهي تُلاحق تفاصيل جسدها وانحناءاته، تجرأتْ أكثر وأخذت تخلع ملابسها في تمهلٍ أمام عينيّ وهي تتأمل كل أسرارها متسائلةً عن أيهم يغويه أكثر، نثرتْ عطره المفضل وهي تُغلق عينيها مستنشقةً أنفاسه المنتشية، تبللتْ أهدابها المنطبقة لتُمطر جسدها بالدموع، انسحبتْ من أمامي لتتدثر بالأغطية الوثيرة وتركتْها تُداعب مسامها كما اعتاد هو أن يفعل، أبكاها احتياجها له بينما يمكث هو غاضبًا في تلك الغرفة البعيدة!..

كنتُ أنا أكثر من شاهد حزنها حين كانت تفشل في مواجهة لحظات غضبه الكثيرة مؤخرًا، لو حاولتْ تهدئته اتهمها أنها تجاريه عن غير قناعة، وإن واجهته بالصمت اتهمها بأنها لا تبالي به، وإن ثارتْ وغضبتْ اتهمها بأنها لا تُحسن التصرف، أرى في عينيها رغبتها في اللجوء إلى صدره، فهل لو دعته ستتمكن من هزيمة غضبه الآن؟!..

نهضتْ لترقص في مواجهتي وبُكاؤها يتصاعد، هي تعلم جيدًا أن قلبه كبير باتساع السماء لكنه أيضًا غامض كعمق المحيط، لا تُدرك منه سوى ما سمح به هو، ربما لذلك لا تُحسن التصرف
معه وتبقى في النهاية وحيدةً حائرةً في مفترق هواه!

توقفتْ عن الرقص بعد أن أصابها دوارٌ خفيّف، شعرتْ بأنامله تلتقط عبراتها وحبات العرق من فوق جسدها المرتعش، فتحتْ عينيها متدثرةً بعينيه وهي تنظر إلى صورتهما المنعكسة في عينيّ.. أخذها.. توقفتْ عبراتُها لتسمح لآهاتها بالانفلات أخيرًا!..

تشاركا الأغطية الوثيرة والسكون الذي تخللته دقات قلبه الناعس أسفل كفها الصغير وأنفاسها المتقطعة، عادت تبكي من جديد خائفةً.. . منه!"

"خايفة من إيه يا هالة؟!.. "

فزعتُ حين أرسلها طارق عبر برنامج المحادثة على facebook وأنا أنقل بصري بين جملته وبين الـpost الذي نشرته منذ قليل، لا أدرى لماذا شعرت بالفزع وأنا التي أردتُ من البداية أن أنقل له من خلالها معنى قلقي المستمر هذه الأيام، كنتُ ازداد تعلقًا به بصورةٍ كبيرةٍ وسريعة, وهو يزداد نفورًا وابتعادًا لسببٍ أجهله، كثيرًا ما كان يُطربني بكلماته الرومانسية ويكاد قلبي يطير من فرط سعادته بها، وفي كل مرة يتبدد اطمئناني بشعورٍ سخيفٍ يخبرني بأنها مُجرد كلمات!..

"فينك؟" أرسلها وأنا مازلت على صمتي فأجبته هذه المرة:

– معاك يا حبيبي..

– خايفة من إيه بقى؟..

لم أحاول الإنكار وبدأتُ في الكتابة دون ترتيب:

– إنت بعيد ماعرفش ليه.. بقيت أحس إن مشاعرك بقت تأدية واجب أو مجاملة.. بقيت تهرب من مشاعري ناحيتك.. ولو عاتبتك تزعل.. مابقيتش فاهمة حاجة بجد.. متغير من ناحيتي ليه يا طارق؟..

تراجعتُ في مقعدي وأنا أراجع ما كتبتُ وأرسله عبر المحادثة إلى طارق لأنتظر العاصفة القادمة، مع النقاط التي تتلاحق أسفل مربع المحادثة كانت تتلاحق أنفاسي في رهبة، كنتُ أخشى مع كل توقف لها الرد الذي سوف يُرسله فاكتشف أنه لا يزال يكتب المزيد، شردتُ أتأمل ملامح صورته على صفحته الشخصية وأنا أمرر أناملي عليها كأنما أتخلل بها خصلات شعره الحالك، كم وددت لو ضممته إلى صدري في

تلك اللحظةِ واستمع إليه يتحدث بما في قلبه، لكن في الآونة الأخيرة كنتُ قلقةً للدرجة التي أفقدتني تلك القدرة وأفقدته هو قدرته البارعة على منحي الشعور بالأمان!..

فجأة أضاء مربع المحادثة باللون الأزرق وهو يحمل بجوار اسم طارق رقم 1 ليخبرني بوصول رسالته ذات الفقرة الواحدة، ارتجف سهم"الماوس" بين أصابعي وأنا أوجهه لفتحها، كانت الرسالة من الطول بحيث لم أدرك بدايتها فوجدتني مضطرةٌ لمحاولة السيطرة على ارتجافة"الماوس" مرةً أخرى لأصعد معه حيث كتب طارق:

– يا هالة أنا والله بحبك.. إنتي رجعتيني أحب نفسي تاني.. بحب عينيكي اللي شافتني من جوايا.. وبحب خوفك عليا وغضب عني اللي أنا فيه.. عارفة يعني إيه أعيش طول العمر اللي فات لنفسي وبس؟.. يعني عمره ما فرق معايا إن المسرح ما بيأكلش عيش طالما بحبه وما بعرفش أعمل حاجة غيره.. ما عملتش حساب اليوم اللي ممكن تيجي فيه واحدة وتشاركني حياتي.. بس أديني أهو بحاول أغير ده.. أنا مشاعري ما إتغيرتش من ناحيتك.. مفيش في قلبي غيرك ولا هايكون يا هالة.. هاتكوني ليا إن شاء الله مهما حصل..

ترقرقتْ الدموع في عينيّ لتتدفق بعدها في غزارةٍ على وجهي وأنا أفقد السيطرة تمامًا على"الماوس" بعد أن كتبتُ أربع أحرف ليس إلا:

– بحبَّك..

***

وأشارت إليه..

obeikan.com

معرض القاهرة الدوليّ للكتاب، ذلك الحدث الثقافي الذي تنتظره أمي كل عام وتُسعدها فكرة أنها واحدةٌ من صُنَّاعه، لذلك كانت تتجول بداخل أرض المعارض في حماسٍ رغم ما عاشته خلال الأشهر الأليمة الماضية، حملتْ ملامحها ابتسامة استمتاع بذلك المزيج السحري بين برودة الهواء ودفء الشمس، وشعرتْ بالفخامة في ملابسها الثقيلة التي تكونت من "بلوزة" قُطنية و"چينز" ينتهي بداخل "بوت" قصير، مع ذلك المعطف الصوفيّ متوسط الطول، تشتتْ ذلك الشعور بالثقة للحظة حين توقفتْ أمام "البانر" الضخم الذي حمل صورتي وتاريخ ميلادي الذي سيوافق ساعة من الآن!..

"سبحان الذي يُقلب قلوبنا بين أصابعه كيفما يشاء، هو وحده الأعلم بما يعتمِلُ داخلها وهو وحده من يمتلك نعيمها أو عذابها، ذلك ترحالٌ يصاحب خطو البشر منذ صرخة الميلاد وحتى شهقة الموت!"

وقفتْ تقرأ تلك الكلمات التي اختارتها لتزين "البانر" بجوار اسمي كشهادة ميلادٍ لي، كانت تمس ألمًا خفيًّا بداخلها يُذكّرها كيف اجتاز طارق كل تلك الحدود فيما بينهما بمنتهى السهولة، ليعود بعد شهورٍ وينسحب من حياتها فجأة منتهيًا من أمرها تمامًا كأن لم تكن!.. منذ فترةٍ أبعد من تلك الشهور بقليل أخذتْ الأمور تتدهور بينهما بشكلٍ كاد أن يورثها جنونًا مطبقًا، كان طارق قد أصبح مِزاجيًا بطريقةٍ لا تُحتمل، أحيانًا كان الأقرب إليها وأحيانًا أخرى.. . كان أبعد ما يكون عن الشعور بها، لذلك ازداد توترها وتعطل تفكيرها لفترةٍ ليست هينةٍ وإن كانت في تعداد الزمن أيام!..

سارتْ نحو "الكافيتيريا" تتأمل ما حولها من خلف نظارتها السوداء بابتسامة حنينٍ مؤلم، أرض المعارض تحولتْ إلى ما يشبه الأنقاض مقارنةً لما كانت عليه حتى يناير

2010 ، بعد ذلك التاريخ هُدمت كل الأبنية والسرايات بدعوى التجديد ولم يتبقَ سوى مبانٍ معدودةً أبقوا عليها لاستضافة الناشرين والضيوف العرب، أما عن صالات العرض فقد تحولتْ إلى خيامٍ ضخمةٍ كالحة اللون تتسبب في أحيانٍ كثيرةٍ في تلف المعروضات إذا ما أمطرت أو هبت بعض الرياح المحملة بالرمال المفروشة لاستقبال الزوار فيما يبدو، بالإضافة لبعض هناجر العرض المكشوف التي ابتكرها البعض خالقًا لها أماكن على الأرصفة الخالية؛ وتضاعفت هذا العام بعد أن قلدهم الجميع لتستحوذ كل دار نشر على أكثر من منفذٍ لها.

رغم كل ذلك بقي للحدث أهميته ورونقه، لقد انفتح الجميع على عالم الكلمات دون خوف، فانطلقوا يخرِجون كل ما واروه أنفسهم لسنواتٍ عديدةٍ، هناك حقًا العديد من المدَّعِين الذين يحاولون دائمًا اللحاق بركب الكُتَّاب الشباب لكن سرعان ما خبت – أو ستخبو – أنجمهم حين ينصرف عنهم القراء بعد زوال ما يَدَّعُون، بدأ الإقبال الجديد على القراءة "كموضة"، وبمرور الوقت أصبح جزءًا منه عادةً لدى الكثيرين تُربي في نفوس البعض ميزانًا حساسًا يرفض أي ابتذال، بينما استمر آخرون على اعتبارها.. "موضة"!

رَشَفَتْ أمي بضع رشفاتٍ من القهوة وهي تتوجه للجلوس بجوار السُلم المؤدي إلى صالات العرض متساءلة كيف ستتمكن من تذوق البُنِّ في نهاية ذلك الكوب الكارتوني العميق؟!.. أخذتْ تعبث في شاشة هاتفها المحمول والذكرى تهاجمها في ضراوة، بالطبع لم تنس لكنها أيضًا لم تعد تتألم، كتبتْ على حسابها الشخصي على facebook:

"الجرح الحي مع الوقت بيدبل واللي بيفضل من الحكاية مشهد

أول لُقا.. أول كلمة"بحبك".. وآخر سلام بالإيد والعين مدمعة..

obeikan.com

شوية صور وكلمات بتمر زي شريط السينما قدام عينيك.. وأول ما الصالة تنور بتفتكر.. إنك خلاص ما بقيتش البطل ☺"

بعد لحظاتٍ قليلةٍ ظهرت صورته مع الإشعار الذي أخبرها أنه أُعجِبَ بكلماتها تلك، جذبتها عيناه إلى ذكرى آخر لقاءاتهما وأكثرها حميمية!..

***

كانت تعشق تلك البرودة الخريفية التي تربت على بشرتها في استحياءٍ بينما تُغازل الشمس عينيها علانيةً لتزيد من زُرقتة عدساتها اللاصقة؛ فتنافس زرقة السماء السعيدة بقطع السحاب الصغيرة، كانت هي أيضًا سعيدةً في ذلك اليوم لأنها ستلتقيه أخيرًا بعد فترة لم يلتقيا خلالها كثيرًا لذلك اهتمت بأن تبدو جميلةً، ارتدت فستانًا باللون الأسود المتداخل مع"التركواز" وكللت جبينها بـ "سكارف" من نفس اللون.
كانت في طريقها إلى ساقية الصاوي لحضور عرضًا من إخراجه، وحين كانت تهبط درجات السُلم نحو القاعة قابلته عند البوابة الحديدية، أرجفتها كفه على كتفها وهو يرحب بها ونظراتها تتعلق بكل تفاصيله في شوقٍ دون أن يلحظ، لكن بعد لحظةٍ التفت إليها مرةً أخرى وهما يسيران جنبًا إلى جنبٍ ليتأملها طويلًا بشكلٍ جعلها تخفض بصرها في خجلٍ؛ لم تتوقع معه أن يهمس "حلو اللون الإسود عليكي"، أو أن يرفع وجهها نحوه لينظر في عينيها مباشرةً ويقول: "وحلو ده.."
ظل الخدر سارٍ في جسدها وهي تجلس لتُشاهد "البروفة" النهائية للعرض؛ وقد تحولتْ خشبة المسرح إلى ما يشبه خلية النحل من حول الممثلين المستمرين في مراجعة"الديالوج"، فعُمال الإضاءة يجوبون المسرح جيئةً وذهابًا للتأكد من عمل كل "الإسبوتات"، وعمال "الديكور" يضعون اللمسات النهائية على الخلفية الثابتة

للعرض، وطارق يقف أمام صف المقاعد الأول يُتابع "البروقة" والإضاءة و"الديكور" في وقتٍ واحدٍ، أما هي فكانت سعيدةً جدًا لأنها تشاركه تلك اللحظات.

أخيرًا بعد نحو الساعة توقفتْ الحركة على خشبة المسرح وأُغلق الستار وخرج الجميع للاستعداد، ذهبتْ هي في تلك اللحظة لاحضار القهوة لهما، عادت بعد لحظاتٍ تبحث عنه في القاعة فلم تجده، فجلستْ على أقرب المقاعد إليها وأرسلتْ له رسالةً عبر الهاتف قائلةً:

– قهوتك هاتبرد..

لحظاتٌ ووجدته يأتي إليها مسرعًا ويجلس بجوارها– بل شبه لصيقًا بها– ويقول:

– في وقتها بالثانية..

خفق قلبها وابتسمتْ فرحة، ورُغمًا عنها وجدتْ نفسها تتأمل تلك الشعيرات البيضاء التي أحاطت ملامحه بإطارٍ فضيّ، لكنه انتزعها فجأة من تأملاتها الهائمة وهو ينظر نحوها بطرف عينه

مبتسمًا ويقول:

– واحشاني..

– مش قدي..

ومع ازدحام القاعة بالحضور ازدحمتْ مشاعره بالتوتر والعصبيّة، مدتْ يدها تربت على كفه مهدئةً فما كان منه إلا أن قبض عليها في قوةٍ آلمتها وإن لم تشتكِ، وفرقهما موعد بدء العرض!

***

سألها وهو يسير معها إلى خارج القاعة:

– عجبك العرض؟

- قوي..

تعلقتْ في ذراعه وهي تجيبه لكنها فوجئتْ به يجذبها نحوه في رفقٍ ليوقفها قبل أن يصلا إلى البوابة الحديدية، مال نحوها وذراعه تلتف حول كتفها ليضمها إلى صدره بذراعٍ واحد، تنسمتْ

عطره وأنفاسه قبل أن يترك قبلةً سريعةً على خدها ويتراجع بعدها لينظر إليها دون أن يبتسم!.

حارت كثيرًا في معنى نظرته تلك ولم تُفارق ذهنها تفصيلةٌ واحدةٌ عاشتها معه في تلك الليلة، كان رائعًا كما لم يكن من قبل، متشوقًا لها بنفس درجة شوقها إليه، حَنُونًا حتى وهو يخبرها عن انشغاله الأيام القادمة ويطلب منها أن تعذره مقدمًا، وكيف لا تفعل وهو يطلبها بتلك الرقة!..

ومر يوم واثنان وثلاثة رافقتها خلالها أشواقها إليه وإلى استقرار الأمور فيما بينهما بعد ما أشعرها به في آخر لقاء، لم تدرك حينها أن الفراق قد يأتي بعد نهايةٍ أكثر جمالًا من البدايات!..

ومرت أيامٌ كثيرةٌ بعدها دون أن تأتيها منه ولو مكالمةٍ هاتفيةٍ، كانت تتحكم في لهفتها عليه بصعوبةٍ بالغة وتُحاول إخفاء شوقها إليه في كل رسالةٍ كانت تُرسلها له عبر برامج المحادثة الإلكترونية المختلفة، لكن قُبيل انتهاء الأسبوع الثاني انفجرتْ غاضبةً في رسالةٍ انشطرتْ بين سطورها ألفًا، أخبرته كم تتألم وبكتْ حروفها وتوسلت له أن يُطلعها على سر قسوته التي دفعته لأن يحرمها حتى سماع صوته لاثنى عشر يومًا كاملين، سألته أن يُبدد حيرتها بحق أي شيءٍ قد عاشاه سويًا، عانتْ من الانتظار وعيناها متعلقةً باسمه في مربع المحادثة كأنما تتوسل إليه أن يقرأها!..

وأخيرًا" Seen"، تابعتْ مربع المحادثة وهي ترتجف حتى دون أن يخطر لها أنه الوداع.. وصلتها رسالته.. تكلم كثيرًا.. كان حنونًا جدًا للدرجة التي لم تشعر معها بذلك النصل الذي أجرى دمها ولم تعلم أنه الموت إلا حين اصطبغتْ الكلمات بدموعها التي لم تقوَ حتى على ذرفها، منذ ذلك اليوم لم تستطع البُكاء، هل تبكي الجثامين؟!.. قال أنه حزين إذ فقد فيها الصديقة التي كان يفتح لها قلبه وأن مشاعره كانت تختنق، قال أن عقله كان يسيطر عليه ويورثه شعورًا بالذنب تجاهها، وأن فترة ابتعاده لم تكن سوى تقييمًا لكل ما بينهما، أرادتْ الاعتذار له عن كل ذلك حتى دون أن تميّز خطأها ودون أن تُتابع قراءة كلماته، هذا لا يهم الآن، ستتدارك كل هذا و.......

لقد مزق النصل وريدًا وفي اتجاه الآخر، تلونت الصفحة البيضاء باللون القاني وهو يُخبرها أنها كانت سببًا في تصالحه مع نفسه وأنه على يقينٍ من أنها لن تكون سببًا الآن في أن يعود إلى جلد ذاته من جديد، أرادت أن تخبره أنه مُحِقٌّ تمامًا قبل أن تفهم معنى حديثه لكن النصل انغرز في وريدها حتى مقبضه وهو يخبرها أنه اعتمد على مشاعرها وحدها في استمرار علاقتهما، وأن كل ما نالته منه عقلٌ أرهقه الشعور بالذنب تجاهها، في تلك اللحظةٍ تذكرت حين سألته ذات يوم:

- بتحبني ليه؟

فأجابها حينها أن عقله أحبها أولًا وأنه رأى فيها الصديقة والحبيبة وأم الأبناء، أخبرها أيضًا أنها رأت النور الكامن في قلبه وتمسك هو بنظرتها تلك ليتصالح على نفسه التي أرهقته كثيرًا، وحين كررتْ سؤالها بعد فترة كانت خلالها مندهشة من ملاحظاته الدائمة عن طريقتها في التعبير عن مشاعرها نحوه وأنه لا يفضل أن تكون بمثل تلك الرومانسية، أخبرها بنفس الكلمات وطلب منها في ضيقٍ ألا تسأله مثل ذلك السؤال

مرةً أخرى لأنه يشعره بالتقصير تجاهها، والحقيقة أنها هي من كانت متاحةً أكثر مما ينبغي!.. شتتها آخر سطوره عما تذكرت وأجهزت عليها تمامًا، لتفقد اتزانها ساعة كاملة وعيناها مثبتة على كلماته الأخيرة:

– صديقتي وحبيبتي وأقرب الناس لقلبي.. أنا متاكد إني بخسرك ومش ممكن هاعوضك تاني أبدًا بس مش هاعرف أخدعك.. مش هاحترم نفسي.. ولو كنت فكرت ثواني كمان ما كنتش هابعتلك الرسالة دي أبدًا.. ما أقدرش أسيبك جنبي يا هالة وأنا مش عارف بكرة بتاعنا ده جاي ولا لأ.. وما كنتش هاقبل على نفسي أجي أقولك الظروف صعبة عشان كنتي هاتقولي ولا يهمك يا حبيبي كمل وأنا جنبك.. كنت هابقى باخدعك لو قبلت ده لأني ما أقدرش أقول إن مشاعري قد مشاعرك ناحيتي.. كان لازم أكمل طريقي من غير حمل على ضهري.. وطبعا بتمنى تكوني صديقتي اللي بتشاركني ده زي ما كنتي دايمًا.. خدي بالك منك يا لولا..

***

"يخرب عقلك يا هالة.. تسلم إيدك وعينك وقلبك وقلمك يارب.. "

ابتسمتْ حين قرأتْ تعليق يحيى على ما كتبته منذ قليل ونهضت لتسير في تمهلٍ حتى وصلتْ إلى تلك المساحة الرحبة التي تحيطها أعمدة على الطراز الفرعوني، جلستْ في ظل أحدها تفكر، لقد مرتْ عليها لحظات كادت أن تكره فيها طارق لأنه لم يمنحها سببًا يوقفها عن حبه، حاولتْ أن تتعلل بكلمات الحب التي كان يقولها ولا يعنيها حقًّا لتكرهه، لكنها أدركت أنه كان يقولها رغبة منه في تحويلها من أمنياتٍ إلى واقعٍ يعيشانه!.. كانت قد أجابت على رسالته الأخيرة بتمنياتها له أن يُحقق أكثر مما يتمنى لنفسه واعتذارها عن البقاء، أخبرته بشكلٍ مُباشرٍ أنها فهمتْ مغزى رسالته وأنه ربما من اليسير عليه معاملتها كصديقةٍ — إذ أن علاقتهما بالنسبة له لم تتجاوز حدود

العقل – أما عنها فلن تستطيع الاقتراب من وهجه أكثر من ذلك، قابلتْ صراحته بمصارحة نفسها أنها لو بقيت فلن يُخدع سواها!..

عاشت بعدها فترةً ذاهلةً عما حولها لا تستوعب أنه رحل إلى غير رجعة، كانت في كل مرةٍ ترى فيها صورته أو تشاهد له تعليقًا على facebook تشعر بحنينٍ مؤلمٍ ممزوجًا بالاحترام، إنه هو من علمها أن عليها أن تُحب نفسها أكثر مما كانت تفعل، وعليها قبل أن تُعطي بلا حدودٍ أن تتأكد أن عطائها هذا لن يمنع الآخرين من منحها ما تستحق من مشاعرٍ في المقابل.

عادتْ مرةً أخرى إلى صالة العرض التي سيقام بها الاحتفال، اتخذتْ مقعدها بجواري وابتسمتْ في وجوه الجميع ونظرات طارق تتمثل في مخيلتها حين التقته بالمصادفة في"كافيتيريا" مسرح الطليعة منذ عدة أسابيع، صافحته وهي تتفرس بملامحه في دهشةٍ لم يغفلها، فسألها بابتسامة:

– إيه!.. نسيتي شكلي يا أستاذة؟!..

حاول أن يقبلها فابتعدت في هدوءٍ وهي تتطلع نحوه دون رد حتى انتبهت إلى أنه لا زال ممسكًا بيدها، فسحبتها وهي تهز رأسها نفيًا دون أن تحول عينيها عنه وأجابت:

– أكيد لأ..

كانت المرة الأولى التي تقابله فيها بعد ما كان؛ وإن كانت قد أجبرت نفسها على أن تبادره بالاتصال – رغم تخوفها من ضعفها أمامه – لتواجهه وتعود بمشاعرها إلى حدود ما قبل هواه، تصورت أنها ستلقى منه معاملة الأصدقاء كما وعد، لكنها فوجئت بضيقه من ذلك في كل مرةٍ يتحدثا فيها وكأن غروره كرجل يأبى أن تشفى من تعلقها به، الأمر الذي أورثها عِنَادًا ساعدها في أن تبرأ منه أسرع مما توقعت!..

"روحتي فين؟!" انتبهت من شرودها على سؤاله وهو يجلس بجوارها، فابتسمت مجيبةً:

- معاك أهو.. أخبارك ايه؟..

- أنا تمام..

ومال نحوها ليهمس:

- وحشتيني يا رحمة..

ابتسمت في ثبات وهي تسترخي في مقعدها قائلةً:

- إنت كمان..

جاء لها "الجرسون" بالقهوة التي طلبتها وتابعته وهو يصبها دون أن يخفى عليها تأمل طارق لها، ظل صامتًا وهي ترتشف منها القليل حتى سألته مبتسمةً:

- مش هاتشرب حاجة؟..

نهض في جديةٍ وهو يضع يديه في جيبيّ"الجينز" وهو يشير برأسه نحو"الأفيش" خلفه قائلًا :

- لأ، أنا لازم أمشي بس هاكلمك لما تروحي.. ما تفوتيش العرض ده..

لم تتصور أنه سيجبرها بعد تلك المكالمة على أن تبني حاجزًا بينها وبينه بلا رجعة، استمعت لكلماته وضحكت منها في البداية وهي تتصور أنه يمزح معها، لكنه عاد يكرر ما قال:

- إنتي بتضحكي على إيه؟.. أنا باتكلم بجد على فكرة..

بعد لحظة صمت قالت:

- جد إزاي يعني يا طارق بعد موقفك وقرارك وكلامك عن ظروفك ومشاعرك اللي كانت مخنوقة وإحساسك بالذنب ناحيتي و........

- بس.. بس.. جد يعني جد يا هالة.. يعني نقعد ونتكلم.. نحاول تاني..

- نحاول تاني في إيه؟!..

obeikan.com

– يا هالة أنا لسه شايفك الزوجة المناسبة ليا بس الظروف هي اللي منعتني عنك قبل كده..

– الظروف؟!.. وإيه اللي إتغير في الظروف يا طارق؟..

تطلعتُ نحوها وأنا على يقينٍ أنها لا تذكر تحديدًا بما أجابته لحظتها، لكني أذكر جيدًا احتقان صوتها بالدموع والغضب حين جاوبها صمته، لم تتصور أنه على تلك الدرجة من الأنانية التي تجعله يطمع فيما أسماه المحاولة من جديد، لم تستطع التحكم في انفعالها وهي تتذكر كيف كان يحاول تشكيلها على الصورة التي تريحه، لم يغضبها ذلك قدر غضبها من نفسها لأنها حاولت أن تستجيب دون تقديرٍ منه، تلك العلاقة استمرت لشهورٍ على حساب استنزافه لمشاعرها هي واستغلاله لحبها له، والآن يطلب منها المحاولة من جديد!

تطلعت نحوي بعينين التمع ماؤها، بادلتُها النظرات الدامعة وأنا أتمزق بين كراهيتي للانفصال عنها لأنها سبب وجودي وحصني الآمن، وبين رغبتي في الانطلاق وسط الجميع بحريةٍ معتمدًا على نفسي!.. هربتُ إلى صدرها أُخبئ حيرتي وأرنو إلي عينيها التي علمتني كل ما علمتُ، رأيتُ فيهما جرأتها وهي تجذب الستار عن كواليس كل ما عاشته وهي موقنةً أن نظرتها للحياة لن تبقى كما كانت ، وأن هذا يفرض عليها دورًا جديدًا، رأيتُ على وجهها ابتسامةً بتولٍ لَوَّنت وجنتيها وهي تُسبل أهدابها في يقينٍ من أنها تحمل الآن بذور الكلمة، رأيتُ سعادة أمٍ انتظرتني طويلًا كي أقوى وأشبُ بين يديها لأتلقى منها ما تريد التبشير به وأحمل عنها ما تنُوءِ بحمله وحدها فتجد فيّ ملاذًا يأويها من كل التساؤلات إذ تشير إليَّ!..

وسط كل هذا شَعُرَتْ فجأة بعينين تنظران في عينيها مباشرةً، بحثتْ طويلًا عما يؤكد ذلك الشعور أو ينفيه لكنها لم تستطع التركيز، غير أني لاحظتُ تحرك طارق في

اتجاهها وعلى وجهه ابتسامة حنين، اقترب منها ووضع أمامها حقيبة هدايا تظهر من داخلها علبةً بنية اللون متوسطة الحجم، أخرجتها وهي تنظر نحوه في تساؤل، لفت انتباهي شريط "الستان" البُنيّ المعقود من حولها متقاطعًا مع تلك الخطوط الدقيقة التي تحدد جوانبها بألوانٍ ثلاث، الأصفر والأزرق و"الفوشيا" وتحمل علامة la poire الشهيرة، تناولتها هي في سعادةٍ وأنا أقرأ معها الكلمات المنمقة التي كُتبت عليها:

For those who search for happiness

For those who seek true love

For CHOCOLATE LOVERS

نظرتْ له طويلًا في لومٍ ممزوجٍ بالأسف، فصافحها هامسًا:

- مبروك يا هالة..

- الله يبارك فيك..

اقتربتُ ماثلًا بين يديّها، تناوَلَتْ قلمًا داكنًا ففتحتُ لها قلبي لأتلقى منها الكلمات لآخر مرة:

ع التوهة والترحال

ماشيين يمين وشمال

عايشين وألف سؤال

ويا مين يرسينا؟

يزداد الفنان توهجًا كلما تألم مع دوام الترحال!..

هالة

Obeikan.com

ومن مكاني استطعتُ تتبع خيوط الدخان المنبعثة من بين أصابع يحيى الواقف هناك، واستطعتُ مشاهدة انعكاس ابتسامة أمي في عينيه وعيني "الكاميرا" التي يحملها، اقترب يحيى منّا بعد أن أطفأ سيجارته ووقف أمامنا، فأشارت إليّ ليلتقط لنا صورة معًا ربما.. لا تكون الأخيرة!..

***

Obeikan.com

شكر خاص..

- إلى من ساهموا في خروج"وأشارت إليه" على تلك الصورة:

الكاتب والإعلامي محمد شادي.. الفنان والمخرج محمد يوركا.. الفنان والمخرج محمد خميس.. الكاتب المسرحي ناجي عبد الله.. الكاتبة والقاصة سامية أبو زيد.. الكاتب الإذاعي أحمد القصبي.. المخرج محمد الشافعي.. الفنان والمخرج علاء عزت.. أسرة دار ن.. وأولًا وأخيرًا إلى روح أبي الذي تُعطر كلماته هذا العمل.

- إلى أصدقائي:

حسن عبد الفتاح.. ماريان سيد.. ريهام السقا.. حنان السقا.. أيمن عثمان.. طارق وافي.. نسرين أبو بكر.. عمرو الجندي.. عمرو عزالدين.. أسماء فخر الدين.. ندى طلال.. محمد عبد القوي مصيلحي..

- إلى عالمي الصغير، أمي الحبيبة وشقيقتي الوحيدة.. حفظكما الله لي.

- إلى القراء الأعزاء، لولاكم ما كُنا.

obeikan.com

صدر للكاتبة

إصدارات ورقية:

حُلم الجواد الأبيض (قصص قصيرة) - 2007

قُبلة حارة الألوان (قصص قصيرة) - 2010

مِسك أبيض (رواية) – الطبعة الأولى 2012

عُهر مقدس (رواية) – الطبعة الأولى 2013

حلقات إلكترونية:

يوميات ستيتة ومرزوق (ج1) 2009

ليالي شهريار (ج1 - حكاية بدور) 2010

يوميات ستيتة ومرزوق (ج2) 2011

ليالي شهريار (ج2 – حكاية شمس) 2012

الصفحات الرسمية للكاتبة:

face book

/https://www.facebook.com/Amira.ezz.eldeen

Google +

https://plus.google.com/u/0/communities/111680617321622438898

للمراسلة:

amira.ezz.eldeen@gmail.com

obeikan.com

فهرس

- إهداء 5
- كرسي هزاز 8
- ليلة شتاء 19
- بقعة زيت (مسرحية) 29
- حمام دافئ 51
- عينيه والودع 65
- بالبندق 77
- أنا هويت (سيناريو) 89
- أنفاسها الأخيرة 113
- هُنَّ 117
- البندول 123
- قُبلة حارة الألوان (سهرة إذاعية) 129
- خائفة 149
- وأشارت إليه 153

obeikan.com

obeikan.com

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر

ن
للنشر
والتوزيع

noon_publishing@yahoo.com
0235860372 - 01127772007

obeikan.com